الصّراط

الرقم الثالث والثمانون

صفر ١٤٤٣

تاريخ أربعينية
الإمام الحسين عليه السلام

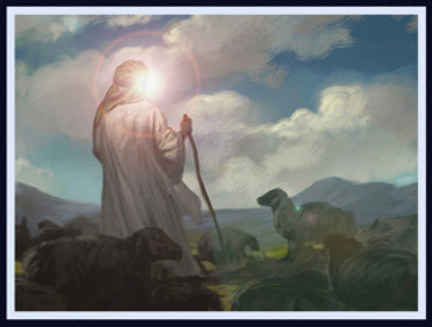

محمّد صلى الله عليه وآله
المثل الأعلى

ربط الأحداث العسكرية
الاستعمارية بالدين..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف اذا وعد.»

«تحف العقول»، ص ٤٥.

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران – ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣
البريد الإلكتروني:
email: mouood.asr@gmail.com
الموقع:
www.mouood.org

الفهرس

منــوعات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤
تاريخ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام محمّد صلى الله عليه وآله المثل الأعلى /٨-١٢
الإنسان في القرآن: الكائن المكلف / ١٣
الأسئلة والأجوبة: لماذا كان الأئمة من ولد الامام الحسين عليه السلام لا الامام الحسن عليه السلام؟ / ١٦
الحكايات: عهد الحسن عليه السلام - الجنة في الطوس / ١٨
تقديم الكتاب: مثير الأحزان / ١٩

الدراسات الثقافية

خيوط العنكبوت - خرافة القومية اليهودية: الحاخام القائد والتناقض الديني العلماني / ٢٠
نماذج الإسلام: السيد بن طاووس / ٢٣
أصابع خفية: ربط الأحداث العسكرية الاستعمارية بالدين.. فكرة أمريكية قديمة / ٢٧
الحرب السكانية العالمية: لماذا تحول العزوف عن الإنجاب إلى موضة؟ / ٢٩
أطوار المسيحية - عصر المسيح عليه السلام: الإنحراف الأول في الديانة المسيحية الناشئة / ٣٣
الطبّ الإسلامي: الصّعتر / ٣٨

الدراسات المهدوية

المدّعون الكذّابون - دعوي السفارة: منابع الشريعة - القسم الأوّل / ٤٠
تكاليف المنتظرين: الرهبنة الذاتية / ٤٣
فوائد وجود الامام الغائب: برهان الصدق / ٤٥
أسباب الدعاء لإمام الزمان عجل الله فرجه: دعوته عجل الله فرجه إلى الحق / ٤٧

الحياة الإيمانية

المستبصرون: الكه اشميت (فاطمة) / ٤٨
الجهاد بالنفس: الفروض على الجوارح وإحتجاج بها يوم القيامة - الفروض على الجوارح الأخرى / ٥٠
صحيفة رضوية: دعاء لطلب العافية / ٥٠
سيرة الأخيار: حبيب بن مظهّر / ٥١

معــرفــة الإمــام

دور الأئمة عليهم السلام في إحياء الدين: الامام العسكري عليه السلام وبناء المجتمع الشيعي الموازي / ٥٤
خير البرية: مقيم الحجّة / ٥٨

منوعـــات

التناغم بين داعش في أفغانستان والعراق

قُتل ما لا يقل عن ١٣ جنديًا عراقيًا في أحدث هجوم لـ«داعش» في «العراق». هذا الهجوم هو واحد من أكثر عمليات داعش دموية في العراق مؤخرًا.

***

على الرغم من عدم وجود إحصائية دقيقة عن أعضاء داعش في العراق و«أفغانستان»، فإن الحقيقة هي أن داعش هو نتاج لـ«أمريكا» بسماته الأفغانية والعراقية. وفي الحالة الأكثر تفاؤلاً، يمكن مقارنة داعش بالنابض الذي، لو كان من الممكن التحكم فيه في الأيام الأولى، فلم يعد من الممكن الآن السيطرة عليه من وجهة نظر صانعيه.

ومن النقاط الجديرة بالملاحظة في أنشطة داعش في العراق والشام أن داعش في أفغانستان نشط خلال الانسحاب الأمريكي من البلاد وكثّف نشاطه الإرهابي، لكن هذا التكثيف للأنشطة في العراق قبل الانسحاب الأمريكي من البلاد له مظهر خاص. يمكن أن يكون الاهتمام بهذه النقطة مفيدًا في علم السلوك، ولكن أيضًا في علم الأنساب، وفي نفس الوقت في العمل المحدد لداعش.

تتحدث العديد من المصادر العسكرية والأمنية هذه الأيام عن المعدات العسكرية الحديثة التي تمكن داعش في أفغانستان والعراق من الحصول عليها. التأمل في هذه النقطة والنظر في حقيقة أنه تم الإعلان رسميًا عن النهاية الرسمية لداعش في عام ٢٠١٧م. مما يلفت التفكير الجاد.

فيما يتعلق بتصنيف داعش في أفغانستان، يقال إن بعضهم انفصاليون عن طالبان. وانضم آخرون من طالبان الباكستانية إلى دواعش أفغانستان، وأعضاء آخرون من دواعش أفغانستان هم أعضاء سابقون في فيلق الصحابة والعسكر المقاتل والمنتسبين لحركة «تركستان». في غضون ذلك ينشط في العراق بعض الهاربين من سوريا، وفلول داعش السابق، وأخيرًا أولئك الذين أعادتهم الولايات المتحدة إلى العراق. وهناك وثائق كثيرة تذكر أسماء وأوصاف قادة داعش الذين نقلهم الأمريكيون من سوريا إلى العراق.

مع الانتهاء من مشروع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، من المتوقع أن يزداد حجم أنشطة داعش في الأيام والأسابيع المقبلة حتى الانتخابات في العراق في العاشر من أكتوبر، وأن تصل ذروتها حتى موعد الانسحاب الأمريكي من العراق.

أليس من المستغرب أن ٨٠ مليون نسمة في أفغانستان والعراق لا يستطيعون التغلب على هذه المجموعة الإرهابية التي لا يتجاوز عددها في أقصى التقديرات وأسوأ الحالات ٢٠ ألف نسمة؟! يبدو أننا يجب أن نبحث عن جذور هذا الفشل فيما وراء حدود أفغانستان والعراق.

المصدر: قناة العالم

الاحتلال الإسرائيلي

عالق بين البالونات الحارقة والصواريخ المتفجرة

ما بين البالونات الحارقة الفلسطينية وصواريخ المقاومة التي جربها الاسرائيليون في معركة «سيف القدس»، يتحير الاسرائيليون في رغبتهم بتشديد اجراءات الحصار ضد قطاع غزه او التراجع عن هذا الحصار لحفظ ماء الوجه في الوقت الراهن.

بالتزامن مع قيام الشباب الفلسطينيين في الانتقال الى تنفيذ الخطة «ب» والتي تشمل إطلاق بالونات باتجاه المستوطنات الإسرائيلية القريبة من حدود غزه بهدف في كسر الحصار عن القطاع وتنفيذ عملية الاعمار، تتحدث وسائل اعلام عبرية إسرائيلية عن مخاوف لدى الاحتلال من تصعيد أمني قريب مع المقاومة الفلسطينية في «قطاع غزه».

وبحسب وسائل الاعلام الإسرائيلية فان جيش الاحتلال يجري استعدادات عسكرية خوفا من تصعيد أمني محتمل في قطاع غزه خلال فترة الاعياد العبرية التي تبدأ الاثنين، ويقوم الجيش الاسرائيلي خلال هذه الاستعدادات بتعزيز قوة المرابطة على الجدار مع القطاع بالإضافة الى وضع القبه الحديدية على اهبه الاستعداد.

ولكن ما لا يجب أن ينساه الإسرائيليون هو فشل الكيان الاسرائيلي وقبته الحديدية امام الصواريخ الفلسطينية التي استهدفت المستوطنات الإسرائيلية خلال معركة سيف القدس والتي كسرت سيطرة العدو الاسرائيلي واظهرت قوة المقاومة وقدرتها على المناورة من خلال اطلاق الصواريخ المتنوعة والدقيقة.

وان كان الكيان الاسرائيلي في الوقت الراهن متخوفا بشكل كبيرا مما تقوم به المجموعات الشبابية في ما يتعلق بإطلاق البالونات الحارقة وهو قد جرب هذا الموضوع في وقت سابق حيث قامت هذه البالونات بإشعال على مئات الحرائق فكيف يتجرأ على فتح معركة جديدة مع المقاومة الفلسطينية التي ستمطر هذه المرة الكيان بدفعات صاروخية ربما تكون أكثر عددا وأكثر قدرة تفجيرية من الدفاعات الصاروخية التي دكت المستوطنات الإسرائيلية في حرب في معركة سيف القدس الماضية.

وعلى ما يبدو ان خيارات المواجهة وسخونة الموقف بين الكيان الاسرائيلي وبين فصائل المقاومة تزداد سخونة وقد قال القيادي في حركه الجهاد الاسلامي **خالد البطش** ان الشباب الفلسطينيين في قطاع غزه سيواصلون فعالياتهم بكل اشكال المقاومة الشعبية، مؤكدا على ان المقاومة تمتلك السلاح والقرار وستواصل دورها وفعلها حتى يستجيب الاحتلال لمطالب الشعب وانهاء الحصار ضد غزة.

لا تبدو المعادلات الراهنة كما ارادها الكيان الاسرائيلي، بل فان المعادلات في الوقت الراهن بدأ بصناعتها رجال المقاومة الفلسطينية وقد ظهر ذلك خلال تطور الاحداث في الفترة الماضية وخصوصا ان بعض المسؤولين في الجيش الاسرائيلي تحدثوا عن أن احتمالية تدهور الاوضاع مع القطاع هذه المرة قد يشمل تصعيدا كبيرا، وهذا يمكن ان يؤدي الي تفجر الاوضاع وهذا على ما يبدو ما لا يريده الاسرائيليون في الوقت الراهن وخصوصا ان الخسارة التي تكبدوها في معركة سيف القدس لم يخبو وهجها بعد.

ومع ذلك فان كل الخيارات في ظل التطورات الراهنة في قطاع غزه تبقي مفتوحة وخصوصا ان لم يقم الاسرائيلي بإنهاء الحصار ضد القطاع.

المصدر: قناة العالم

منوعـــات

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

منوّعـــات

قس كاثوليكي يبني مسجدا في أبوجا النيجيرية

أثار قس كاثوليكي إعجابا واسعا في «نيجيريا»، بإشرافه على بناء مسجد للمسلمين قرب العاصمة «أبوجا».

ورغم الصراعات الدينية التي تشهدها البلاد من وقت لآخر، تبنى القس الكاثوليكي **كليستوس إيسارا** مبادرة لبناء المسجد.

وبُني المسجد في قرية باغادا، بمنطقة «غواغوالادا» بأبوجا، واستغرق بناؤه عامًا تقريبًا، وافتتح للعبادة في الأول من أيار/ مايو الماضي.

وذكر إيسارا أن مسجد القرية تعرض لأضرار، مما حدا بمسلمي القرية لأداء صلواتهم في قطعة أرض أمام المدرسة، ولذلك التقى بزعيم القرية، عارضا عليه إقامة مسجد جديد.

وتابع:

طلب منا رئيس القرية مصلى صغيرا، فأخبرته بأنه لا توجد مشكلة وأننا سنساعدهم مثلما ساعدونا ومنحونا الأرض. فطلبنا مساعدة من أحد التجار أثناء بناء المسجد، وأخبرناه بأن لديهم برنامجا تعليميا مجانيا في القرية، ويرغبون في بناء مسجد للمسلمين لتنمية المنطقة ولكنهم لا يقدرون على تحمل تكاليف البناء.

وأوضح إيسارا أن التاجر أعرب عن سعادته لسماع هذا الأمر ووافق على مساعدتهم ماديا ومعنويا، فتم بناء المسجد في حوالي عام، **وبذلك أصبح لدى المسلمين بالقرية مسجد يصلون فيه.**

وأشار إيسارا إلى أن أحداث العنف التي تنشب بين حين وآخر بين المسيحيين والمسلمين في نيجيريا وخاصة في المناطق الشمالية مثيرة للقلق، إلا أن الديانتين تتصفان بالسلام والمحبة.

وأفاد بأن بعض المسيحيين اعترضوا على قيامه ببناء مسجد للمسلمين، إلا أنه حاول أن يشرح لهم أن أتباع الديانتين ليسوا أعداء، مشددا على أن هناك سلامًا ووئاما بين المسلمين والمسيحيين في القرية التي يعيشون فيها سويًا دون نزاع أو مشاجرة.

من جهته صرح **الحاج أومارو صالحو** رئيس قرية «باغادا» أن مسلمي ومسيحيي القرية يعيشون في مكان واحد منذ سنوات دون أي مشاكل.

وأكد أن أعمال العنف بين الطرفين يمكن منعها من خلال الأعمال الصالحة، مثل بناء المدارس في القرى، والمراكز الصحية، والمساجد، مشيراً إلى أن مسجد قريتهم يعد رمزاً للسلام والوئام بين أتباع الديانتين.

ودعا صالحو إلى إنهاء النزاعات الدينية المستمرة في جميع أنحاء البلاد.

المصدر: شفقنا العربي

هل قرار وقف العدوان على اليمن بيد إبن سلمان؟

يرى المراقبون للمشهد السعودي، ان ولي العهد السعودي **محمد بن سلمان** يعيش حالة من التيه، فلا الأمر الداخلي استقام له، ولا قدر على إقناع دول العالم بشخصه ومشروعه، مشروعه الوحيد الآن تقديم التنازلات لإرضاء القوى العظمى؛ غيّر المناهج ويعمل على تغيير الهوية الدينية للدولة، إضافة إلى «تقديم التنازلات على الساحة السياسية»، هذه الرؤية تتكشف اكثر عند الحديث عن العدوان على اليمن، فهو عدوان يندرج في خانة «تقديم التنازلات لارضاء القوى العظمى!»

يقال ان من بين هؤلاء المراقبين من حصر دور ابن سلمان في العدوان على «اليمن»، بالتنفيذ والتمويل، بينما قرار العدوان هو قرار امريكي اسرائيلي بالاساس، وتم استخدام ابن سلمان كواجهة من اجل اظهار الحرب على اليمن وكانها بين دول عربية، وانما جاءت من اجل «اعادة الشرعية»!! المتمثلة بالرئيس المستقيل والهارب عبدربه منصور هادي، وبالتالي لن يكون قرار وقف العدوان بيد ابن سلمان، فالرجل يعلم انه هُزم في اليمن، لذلك نراه اليوم يحاول دون جدوى الحفاظ على ماء وجه «السعودية» الذي أراقه رجال اليمن الاشداء، وعلى صناعته النفطية التي تحولت الى هدف اثير للصواريخ والطائرات المسيرة اليمنية، وعلى ما تبقى من دولارات في خزينته.

يبدو ان ما ذهب اليه هؤلاء المراقبون هو اقرب الى الصواب، فالحرب على اليمن وان جاءت لخدمة مصالح امريكا والكيان الاسرائيلي، وهي اهداف ترمي الى تفتيت الدول العربية وشرذمة شعوبها وايجاد مواضع قدم في جغرافيتها الاستراتيجية، الا انها جاءت ايضا كخدمة قدمها ابن سلمان «لارضاء القوى العظمى» من اجل دعمه في اعتلاء عرش السعودية بعد رحيل والده.

الذي يحدث على الارض جاء على خلاف ما يتمنى ابن سلمان، فنتائج الحرب باتت تهدد مستقبله وتقضي على احلامه في الوصول الى العرش، فهو لم يستطع ان يعيد منصور هادي، ولا يغير النظام في اليمن، فحسب بل باتت السعودية تتعرض لهجمات شبه يومية وفي عمقها الجغرافي والاقتصادي والسياسي، وليس عملية توازن الردع السابعة، التي أعلن عنها اليمنيون امس، آخر هذه الهجمات، التي اخذت تحرق آمال ابن سلمان في في الوصول للى العرش قبل ان تحرق منشآته النفطية.

عملية توازن الردع السابعة والتي استهدفت رأس التنورة بمنطقة الدمام شرقي السعودية بثمان طائرات مسيرة نوع صماد-٣ وصاروخ باليستي نوع ذو الفقار، كما استهدفت منشآت أرامكو في مناطق جدة وجيزان ونجران بخمسة صواريخ باليستية نوع بدر وطائرتين مسيرتين نوع صماد-٣، وان كانت بمثابة الصفعة التي انهالت على وجه ابن سلمان، الا ان دوبها كان اقوى عندما انهالت على المنظومات الرادارية الدفاعية الامريكية والبريطانية والغربية التي اشتراها ابن سلمان بمليارات الدولارات، عندما عجزت عن صد طائرات وصواريخ اليمنيين.

من خلال ما تقدم يرى بعض المراقبين، ان قرار وقف العدوان على اليمن ليس بيد ابن سلمان، فهذا القرار هو بيد من خطط له في امريكا واسرائيل، فلا يحتاج المرء لكثير من الذكاء ليدرك ان الخاسر الاكبر من بين دول العدوان، هي السعودية، وهذه الخسارة ليست غائبة عن ابن سلمان بالتأكيد، الا انه لا يملك الارادة امام من يسعى لكسب رضاهم في الوصول الى العرش، على حساب دماء اليمنيين، واموال السعوديين.

المصدر: قناة العالم

منوّعـــات

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

تاريخ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

كان **جابر بن عبد الله الأنصاري** رضي الله عنه – من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله – أول من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام بعد مرور أربعين يوما من شهادته.

يقول **عطا** مولى جابر: كنت مع جابر بن عبد الله الأنصاري يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا «الغاضرية» اغتسل في شريعتها، ولبس قميصا كان معه طاهرا. ثم قال لي: **أمعك من الطيب يا عطا؟** قلت: **معي سعد،** فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشى حافيا حتى وقف عند رأس الحسين عليه السلام، وكبر ثلاثا، ثم خر مغشيا عليه، فلما أفاق سمعته يقول: **السلام عليكم يا آل الله...**[١]

زيارة سبايا الحسين عليه السلام في الأربعينية

عند رجوع موكب السبايا من «الشام» إلى «المدينة» المنورة، وصلوا إلى مفترق طريق، أحدهما يؤدي إلى «العراق»، والآخر إلى «الحجاز»، فقالوا للدليل: **مر بنا على طريق كربلاء.**

فوصلوا يوم العشرين من صفر – أي يوم الأربعين – إلى «كربلاء»، فزاروا قبر الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وأقاموا مأتم العزاء، وبقوا على تلك الحال أياما.[٢]

لقاء جابر بالإمام زين العابدين عليه السلام

بينا جابر وعطا ومن معهما كانوا يزورون الحسين عليه السلام إذا بسواد قد طلع عليهم من ناحية الشام. فقال جابر لعبده: **انطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا، لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين عليه السلام فأنت حر لوجه الله تعالى.**

مضى العبد، فما أسرع أن رجع وهو يقول: **يا جابر! قم واستقبل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته.**

فقام جابر يمشي حافي الأقدمين، مكشوف الرأس، إلى أن دنا من الإمام زين العابدين، فقال عليه السلام له: «**أنت جابر؟**»

قال: **نعم يابن رسول الله.**

فقال الإمام عليه السلام: «**يا جابر! هاهنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا...**»[٣]

استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

لقد أفتى فقهاء الشيعة باستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، لوجود روايات وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ تحث شيعتهم وأتباعهم على زيارته عليه السلام، لاسيما في أوقات مخصوصة.

قال الإمام العسكري عليه السلام: «**علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم.**»[٤]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**وليس من ملك ولا نبي في السماوات، إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج.**»[٥]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن موسى بن عمران سأل ربه زيارة قبر الحسين بن علي، فزاره في سبعين ألف من الملائكة..**»[٦]

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**وكل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملكا، شعثا غبرا يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره عارفا بحقه، شيعوه حتى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشيا، وإذا مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة.**»

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**مروا شيعتنا بزيارة الحسين، فإن زيارته تدفع الهدم والحرق والغرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر له بالإمامة من الله.**»

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**من زار قبر الحسين عارفا بحقه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.**»

زيارة المسلمين في الأربعينية

تأسيا بسبايا الإمام الحسين عليه السلام، واستجابة لطلب الأئمة عليهم السلام ورغبة في الأجر والثواب، يقوم المسلمون – وخاصة الشيعة – بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، حيث يأتون إليه من كل صوب ومكان مشيا على الأقدام لما فيه من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله الملك العلام.

كما يقومون بإحياء هذه الذكرى بإقامة مجالس العزاء والمأتم، واستذكار ما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء، وما جرى لسباياه من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام.

الهوامش:

١. «بحار الأنوار»، ج ٩٨، ج ٣٢٩.
٢. انظر: «توضيح المقاصد»، ص ٤٧؛ «لواعج الأشجان»، ص ٢٣٩.
٣. «لواعج الأشجان»، ص ٢٤١.
٤. «بحار الأنوار»، ج ٩٥، ص ٣٤٨.
٥. «الكافي»، ج ٤، ص ٥٨٨.

المصدر: شبكة عرفان erfan.ir

توماس كارليل

محمّد ﷺ المثل الأعلى

من أكبر العار القول: **إن محمّدا كذاب!**

لقد أصبح من أكبر العار، على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر، أن يصغي إلى ما يظن منه أن محمّدا خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون[1] من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكاك أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر، أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها أن لا تخلق.

فوا أسفاه! ما أسوأ هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة! وبعد، فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك ؛ فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحودٍ وإلحاد، وهي دليل على موت الأرواح في حياة الأبدان، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا وألأم.

وهل رأيتم قط، معشر الإخوان، أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا؟! إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب! فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنقاض، وكثيب من أخلاط المواد، نعم، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا، يسكنه مئتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن.

ثم إذا نظرت إلى كلمات العظيم، شاعرا كان أو فيلسوفا، أو نبيا، أو فارسا، أو ملكا، ألا تراها ضربا من الوحي! والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون، فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء، وقد دل الله على وجوده بعدة آيات، أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء.

وعلى ذلك فلسنا نعد محمّدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه، أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا! ما محمّد ﷺ بالكاذب، ولا الملفق ؛ وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل، وتدحض حجة القوم الكافرين.

العرب وصفة جزيرة العرب

كانت عرب الجاهلية أمة كريمة، تسكن بلادا كريمة، وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق، فكان ثمة شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم، وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد، رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلاء، وكان الأعرابي صامتا لا يتكلم إلا فيما يعنيه، إذ كان يسكن أرضا قفرا يبابا خرساء، تخالها بحرا من الرمل يصطلي جمرة النهار طوله، ويكافح بحر وجهه نفحات القر ليله.

ولا أحسب أناسا شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار، يحادثون ظواهر الطبيعة، ويناجون أسرارها إلا أن يكونوا أذكياء القلوب، حداد الخواطر، خفاف الحركة ثاقبي النظر، وإذا صح أن الفرس هم فرنسيو المشرق، فالعرب لا شك طليانه، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قوما أقوياء النفوس، كأن أخلاقهم سيول دفاقة، لها من شدة حزمهم وقوة إرادتهم أحصن سور، وأمنع حاجز، وهذه . وأبيكم . أم الفضائل، وذروة الشرف الباذخ، وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه وينحر له، فإذا أزمع الرحيل خلع عليه وحمله وشيعه، ثم هو بعد كل ذلك لا يحجم عن أن يقاتله متى عادت به إليه الفرص، وكان العربي أغلب وقته صامتا! فإذا قال، أفصح.

ويزعمون أن العرب من عنصر اليهود، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود في مرارة الجد، وخالفوهم في حلاوة الشمائل، ورقة الظرف، وفي ألمعية القريحة، وأريحية القلب، وكان لهم قبل زمن محمّد ﷺ منافسات في الشعر، يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد، حيث كانت تقام أسواق التجارة، فإذا انتهت الأسواق تناشد الشعراء القصائد، ابتغاء جائزة تجعل للأجود قريضا، والأحكم قافية، فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوعرة، يرتاحون لنغمات القصيد، ويجدون لرناتها أية لذة، فيتهافتون على المنشد كالفراش، ويتهالكون.

مولد محمّد ﷺ ونشأته

وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حالهم، أن ولد محمّد ﷺ عام ٥٧٠ ميلادية، وكان من أسرة هاشم من قبيلة قريش، وقد مات أبوه عقب مولده، ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه . وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل . فقام عليه جده وهو شيخ قد ناهز المئة من عمره وكان صالحا بارا، وكان ابنه عبد الله أحب أولاده إليه، فأبصرت عينه الهرمة في محمّد ﷺ صورة عبد الله، فأحب اليتيم الصغير بملء قلبه، وكان يقول: ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل، الذي قد فاق سائر الأسرة والقبيلة حسنا وفضلا، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين، عهد به إلى أبي طالب أكبر أعمامه، رأس الأسرة بعده، فرباه عمه . وكان رجلا عاقلا كما يشهد بذلك كل دليل . على أحسن نظام عربي.

صدق محمّد ﷺ منذ طفولته

ولحظ عليه منذ فتائه أنه كان شابا مفكرا، وقد سماه رفقاؤه الأمين . رجل الصدق والوفاء . الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره، وقد لاحظوا أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة، وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت، يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق، فما شئت ؛ من لبٍ، وفضلٍ، وإخلاص، وحكمة، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته، وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستثار دفينته، وهكذا يكون الكلام وإلا فلا، وقد رأيناه طول حياته، رجلا راسخ المبدأ، صارم العزم، بعيد الهمة، كريما، برا رؤفا، تقيا فاضلا حرا . رجلا شديد الجد مخلصا، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب.

محمّد ﷺ بريء من الطمع الدنيوي

ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدون: أن محمّدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان، كلا . وايم الله . لقد أكن في فؤاد ذلك الرجل الكبير . ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرا، وحنانا وبرا، وحكمة وحجى، وإربة ونهى . أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه.

ابتداء البعثة

فلما كان في الأربعين من عمره وقد خلا إلى نفسه في غارٍ بجبل (حراء) قرب «مكة»، شهر رمضان، ليفكر في تلك المسائل الكبرى، إذا هو قد خرج إلى خديجة(س) ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وأنزلها قريبا من مكان خلوته، فقال لها: **إنه بفضل الله قد استجلى غامض السر، واستتار كامن الأمر، وأنه قد أنارت الشبهة، وانجلى الشك وبرح الخفاء وأن جميع هذه الأصنام محال وليست إلا أخشابا حقيرة، وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فهو الحق وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا. وما نحن وسائل الخلق والكائنات إلا ظل له وستار يحجب النور الأبدي والرونق السرمدي، الله أكبر، ولله الحمد.**

الوحي وجبريل

فمن فضائل الإسلام: تضحية النفس في سبيل الله، وهذا أشرف ما نزل من السماء على بني الأرض، نعم هو نور الله قد سطع في روح ذلك الرجل، فأنار ظلماتها، هو ضياء باهر، كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك، وقد سماه محمّد ﷺ وحيا و **جبريل**(ع)، وأينا يستطيع أن يحدث له اسما؟! أ لم يجيء في الإنجيل أن وحي الله يهبنا الفهم والإدراك؟ ولا شك أن العلم والنفاذ إلى صميم الأمور وجواهر الأشياء لسر من أغمض الأسرار، لا يكاد المنطقيون يلمسون منه إلا قشوره، وقد قال **نوفاليس**:

أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله؟!

فشعور محمّد ﷺ إذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة، بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على الناس علمه لم يك إلا أمرا بديهيا.

معنى كلمة محمّد ﷺ رسول الله

وكون الله قد أنعم عليه بكشفها له، ونجاه من الهلاك والظلمة وكونه قد أصبح مضطرا إلى إظهارها للعالم أجمع . هذا كله هو معنى كلمة **محمّد ﷺ رسول الله** وهذا هو الصدق الجلي والحق المبين.

وكانت نية محمّد ﷺ حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة، والموعظة الحسنة فقط، فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية، وعدم الإصغاء إلى صوت ضميره وصيحة لبه، حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة . عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه، دفاع رجل، ثم دفاع عربي، ولسان حاله يقول: أما وقد أبت قريش إلا الحرب، فلينظروا أي فتيان هيجاء نحن؟!

وحقا رأى! فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق، وشريعة الصدق، وأبوا إلا تماديا في ضلالهم يستبيحون الحريم،

ويهتكون الحرمات، ويسلبون وينهبون، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها، ويأتون كل إثم ومنكر، وقد جاءهم محمّدﷺ من طريق الرفق والأناة، فأبوا إلا عتوا وطغيانا، فليجعل الأمر إذن إلى الحسام المهند، والوشيج المقوم، وإلى كل مسرودة حصداء، وسابحة جرداء، وكذلك قضى محمّدﷺ بقية عمره . وهي عشر سنين أخرى . في حرب وجهاد، لم يسترح غمضة عين، وكانت النتيجة ما تعلمون؟

ولقد قيل كثيرا في شأن نشر محمّدﷺ دينه بالسيف، فإذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فاشد ما أخطأوا وجاروا، فهم يقولون: ما كان الدين لينتشر لولا السيف، ولكن ما هو الذي أوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق، والرأي الجديد أول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد، فالذي يعتقده هو فرد، فرد ضد العالم أجمع، فإذا تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع، وأرى على العموم أن لحق ينشر نفسه بأية طريقة، حسبما تقتضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا..؟! وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف، أم باللسان أو بأية آلة أخرى.

القرآن وإعجازه

أما القرآن، فإن فرط إعجاب المسلمين به وقولهم بإعجازه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الأمم المختلفة، هذا وإن الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة، وسحن الصياغة، ولذلك لا عجب إذا قلت: إن الأوروبي يجد في قراءة القرآن أكبر عناء، فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد، لا يزال يقطع في صفحاتها قفارا من القول الممل المتعب، ويحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكم، لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة، أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة، ولأن لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه، فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لإنجيلهم.

وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها، والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا، يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما، ومصدر أحكام القضاة، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه، والاستنارة به في غياهب الحياة، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة، يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالي، وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الألوف . من خلق الله وفي قلوبهم . اثني عشر قرنا في كل آن ولحظة، ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة!!

براءة محمّدﷺ من الشهوات وتواضعه وتقشفه

وما كان محمّدﷺ أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا، وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلا شهويا، لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ. كلا، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت، لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وإنهم ليذكرون . ونعم ما يذكرون . أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟!

فحبذا محمّدﷺ من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله قائم النهار، ساهر الليل دائبا في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان. غير متطلعٍ إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم! وإلا فما كان ملاقيًا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما وإكبارا وإعظاما، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء، وغلظة، وبادرة، وعجرفية، وكانوا حماة الأنوف، أباة الضيم، وعر المقادة، صعاب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا؟! فذلكم وايم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل، لما خضعوا له ولا أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه.

وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمّدﷺ قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمّدﷺ في ثوبه المرقع بيده، فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال.

تأثير الإسلام على العرب وفضله عليهم:

ولقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور , وأحيى به من العرب أمة هامدة وأرضاها مدة، وهل كانت إلا فئة من جوالة الأعراب، خاملة فقيرة تجوب الفلاة، منذ بدء العالم، لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة، فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من لدنه ورسالة من قبله، فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نبهه، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقا، وسع نوره الأنحاء وعم ضوء الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الإسلام حقبا عديدة ودهور مديدة بنور الفضل والنبل، والمروءة والبأس، والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة.

وكذلك الإيمان عظيم وهو مبعث الحياة، ومنبع القوة، وما زال للأمة رقي في درج الفضل، وتعريج إلى ذرى المجد، ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان، ألستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمّدهم وعصرهم، كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال، التي كان لا يبصر بها فضل، ولا يرجى فيها خير؟! فإذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت، وإذا هي قد تأججت واشتعلت، واتصلت نيرانها بين غرناطة ودلهي.

ولطالما قلت: إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء، وسائر الناس في انتظاره كالحطب، فما هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا!

المصدر: «مجلة الموقف»، العدد ١٨، ١٩٨٤م.، اقتباس قسم المقالات في شبكة الحسنينؑ للتراث والفكر الإسلامي.

الكائن المكلَّف

القرآن كتاب تبليغ وإقناع وتبيين، وقوام هذه الفضيلة فيه هذا التوافق التام بين أركانه وأحكامه، وبين عقائده وعباداته، وبين حجته ومقصده، فكل ركن من أركانه يتنزل فيه بأقداره، ويوافق في تفصيله سائر أركانه التي تتم به، أو يتم بها على قدر مبين.

ليس أتم ولا أعجب من التوافق بين تمييز الإنسان بالتكليف، وبين خطاب العقل في هذا الكتاب المبين بكل وصف من أوصاف العقل، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الإنسانية.

وخليق بالمسلم، وبكل دارسٍ للأديان أن يتنبه إلى هذه الفضيلة التي تحسب لأول وهلة كأنها شيء من الواقع البديهي لا يحتاج إلى التنبيه، ولكن حاجته إلى التنبيه إنما تظهر عند المقارنة بين القرآن وبين جملة من الكتب الدينية الكبرى، في فضيلة التبليغ المقصود، ونعني به التبليغ الذي يراد ويتناسب فيه البيان على حسب الأحكام والأركان.

في كثير من الأديان تقوم عليها دعائم الدين كله، ويرتبط بها نجاة الإنسان من الهلاك أو ضياعه في هاوية المقت واللعنة، ثم تبحث عن هذه الأركان في كتاب الدين فإذا هي معروضة فيه بين السطور، يحيلها المفسرون إلى حكم القرينة، ويجوز لمن شاء أن يحسبها من مصادفات القول يتساوى السكوت عنها والنص عليها.

مثل هذا لا يعرف في حكم من أحكام الكتاب المبين، ولا في ركن من أركانه، بل المعروف فيه على نقيض ذلك: أن تبليغه على قدر فريضته، وأن التوافق فيه على أتمه بين الأركان التي تتلازم وتتكامل عن بيان مقدور لا محل فيه لفرض المصادفة، بل لا محل فيه لتجاهل القصد مع رسالة من رسالات التبليغ.

مكان الإنسان في «القرآن الكريم» هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات.

- هو الكائن المكلَّف.
- هو كائن أصوب في التعريف من قول القائلين «الكائن الناطق»، وأشرف في التقدير.
- هو كائن أصوب في التعريف من الملك الهابط، ومن الحيوان الصاعد، وأشرف في التقدير من هذا وذاك.

ليس الكائن الناطق بشيء إن لم يكن هذا النطق أهلا لأمانة التكليف، وليس الملك الهابط منزلة تهدي إلى طريق الصعود أو طريق الهبوط، وليس الحيوان الصاعد بمنزلة الفصل بين ما كان عليه وما صار إليه، ولا بمنزلة التمييز بين حال وحال في طريق الارتقاء.

إنما الكائن المكلف شيء محدود بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة، أو العلم، أو الحكمة، وحادث من حوادث الفتح في الخليقة موضوع في موضعه المكين بالقياس إلى كل ما عداه.

أي شيء أعجب من هذه الخاصة المحكمة ينفرد بها القرآن بين تعريفات الفلسفة وتعريفات الدعوة الدينية؟!

إنها عجيبة لا يدفع عجبها إلا أن تجري على سنتها من تبليغ الكتاب المبين.

إنها عجيبة لم تأتِ من مصادفات التضمين والتخمين؛ لأن

الكتاب الذي ميّز الإنسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب «العقل» بكل ملكة من ملكاته، وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعقلون، قبل أن يصبح العقل «درسا» يتقصاه الدارسون كنهًا وعملا، وأثرا في داخله وفيما خرج عنه، وفيما يصدر منه وما يئول إليه.

- العقل وازع «يعقل» صاحبه عما يأباه له التكليف.
- العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور.
- العقل رشد يميز بين الهداية والضلال.
- العقل روية وتدبير.
- العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار.
- والعقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر، وتجمع العبرة مما كان لما يكون، وتحفظ وتَعِي وتُبدئ وتُعيد.
- والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف، وكل أمر بمعروف، وكل نهي عن محظور.

أفلا يعقلون؟ أفلا يتفكرون؟ أفلا يبصرون؟ أفلا يتدبرون؟ أليس منكم رجل رشيد؟ أفلا تتذكرون؟

إن هذا العقل بكل عمل من أعماله التي يُناط بها التكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء، ومن أمر أنفسهم، ومن أمر خالقهم، وخالق الأرض والسماء؛ لأنهم:

«يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا»[1]

«أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى»[2]

وقد ننقل تكاليف القرآن جميعًا، وننقل عظاته جميعًا إذا أردنا الشواهد على هذا التوافق الموصول بين تمييز الإنسان بالتكليف في القرآن، وبين خطابه للعقل والفكر، وتذكيره بالرشد والبصر وسائر ملكات التمييز في مصطلحات الأوائل والأواخر، ولكنها شواهد حاضرة في ذهن كل قارئ لهذا الكتاب، وكل قادر على المقابلة بينه وبين غيره من كتب الأديان، ولو لم يعبر منها غير صفحات معدودات.

ومن تمام التوافق بين أركان التبليغ في هذا الكتاب أن الأمر فيه يجري على هذه السُّنة فيما أتى به فريدًا غير مسبوق عن رسالة النبوة.

إنها الرسالة التي لم تُعرف قط في التاريخ البشري قبل تمييز الإنسان بخاصة التكليف، وإعداده لخطاب العقل وبينات الإقناع.

كانت الأمم – قبل البعثة المحمدية – تفهم أن النبوة استطلاع للغيب، وكشف للأسرار والمخبآت، يستعان بها على رد الضائع، وإعادة المسروق أو الدلالة عليه، ويستخبرونها عن طوالع الخير والشر، ومقادير السعود والنحوس. وكان من تلك الأمم من يحسب أن النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفع إليه بالهدايا والقرابين، وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعًا للنوازل التي يستحقونها وتنزل بهم؛ لأنها قضاء مبرم يتوقعه الصالحون العارفون، ويسألون المعبود في دفعه قبل نزوله.

فجاءت نبوءة الإسلام بجديد باقٍ لم تسبق له سابقة في الدعوات الدينية، بل لا حاجة بعده إلى جديد ولا استطاعة للتجديد؛ لأنه يخاطب في الإنسان صفته الباقية، وخاصته الملازمة، وهي خاصة النفس الناطقة بين عامة الأحياء، أو خاصة الضمير المسئول الذي يحمل تبعته، ولا تغنيه عنها شفاعة ولا كفارة من سواه.

فهي نبوة فهم وهداية، وليست نبوة استطلاع وتنجيم، وهي نبوة هداية بالتأمل والنظر والتفكير، وليست نبوة خوارق وأهوال تروع البصر والبصيرة، وتروع الضمائر بالتخويف والإرهاب حيث يعييها قبول الإقناع.

إنها نبوة مبشرة منذرة لا تملك لهم نفعا ولا ضرًا، ولا تعمل لهم عملًا غير ما يعملونه لأنفسهم بمشيئتهم إذا اهتدوا بهداية العقل المتدبر، والضمير السليم:

«قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[3]

نعم، ولا إغراء ولا مساومة على جزاء بين الأخذ والعطاء:

«قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»[4]

وقد جاءت سمعة المعجزة ميسرة لصاحب هذه النبوة يوم مات ابنه إبراهيم وكسفت الشمس، فظن الناس أنها كسفت لموته، وأبى النبي الصادق أن يسكت عليها، فتكلم ليعلمهم أن الشمس والقمر آيتان لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته.

وقد بيَّن للناس أن المعجزة لا تُجدي من يكابر العقل، ويأبى الإصغاء إلى بينات الإقناع:

«وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ»[5]

ولقد تقدّمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة من أكبر الدعوات شأنًا في تاريخ العقيدة، ولكنك لو عرضتها على مؤرخ ينظر في أدوار التاريخ لم يستطع أن يختتم دور النبوة في تاريخ الإنسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها؛ لأنها جميعًا قد بدأت وانتهت قبل أن توجد في أذهان الناس فكرة الإنسانية العامة، وفكرة الإنسان المسئول المحاسب على أمانة العقل والضمير.

فنبوات بني إسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنعزل بحاضرها ووعود مستقبلها عن سائر الأمم. وعيسى عليه السلام قد نقل الرسالة نقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم عليه السلام بالروح في عداد أبنائه بالجسد، ولكنه أدى رسالته وبقي الإنسان بعده محتاجًا أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره في النجاة من أوزاره، والتكفير عن سيئاته، والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه.

ولن تفرغ أمانة النبوة في تاريخ الإنسانية قبل أن يوجد الإنسان الذي يُخاطب بخطاب العقل، ويحاسب بحسابه، ويحمل تبعاته على عاتقه، ويشترك على سواء بينه وبين إخوانه من البشر في عبادة إله واحد هو رب العالمين، وليس بالرب الذي يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه، أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله، وحساب لم تضعه في موازينها بعمل يمينها.

فلما جاءت نبوة التكليف، صح في حكم العقل أن تختم بها النبوة؛ لأنها حاضرة في كل وقت يحضره الإنسان العاقل المسئول، وتحضره آيات الله لقوم يعقلون.

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[6]

إن قيام النبوة على إقناع العقل المسئول بآيات الكون قد اختتم سلطان الأحبار والقادة، كما اختتم سلطان النبوات بالمعجزات وخوارق العادات، فلا يعذر الإسلام إنسانًا يُعطِّل عقله ليطيع السادة والمستكبرين، أو ليطيع الأحبار المتسلطين بسلطان المال والدين:

«قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا»[7]

«قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ»[8]

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ»[9]

«اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ»[10]

فلا يسقط التكليف عن العاقل أن يطيع المتحكمين بطغيان الحكم أو طغيان الكهانة، ولا يمنعه التكليف أن يسأل من يعلم إن كان لا يعلم؛ لأن طلب العلم يحقق واجب التكليف ولا يعطله أو يلغيه، ويوجب على المتعلم أن يتبين من يسأل وهو مسئول عما يفعل:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»[11]

فإذا سُمّي ختام النبوة باسمه الحق في تاريخ الإنسان، فاسمُه الحق أنه هو فاتحة عهد الرشد في حياة الإنسانية الخالدة، قبل عهد الرشد الذي أخرجته القرون الوسطى بسبعة قرون.

ومن عبث الجهالة أن يُفهم هذا الميقات الجليل فهم العقول الصغار، فلا يُعطى حقه من الفهم ولا حقه من التقديس، وتسمع من يفسره في «عصر العلم» فلا يفهم منه إلا أنه «حكر» الأثرة يغلقه النبي على مَن بعده، ويسيغ هذا السخف وهو صورة لا تقبل التصور عن هذا النبي، كيفما تصوره الناظر إليه على حقيقته أو على دعواه؛ فهذا الحكر صنيع لا يصنعه نبي أمر أتباعه بتصديق الأنبياء من قبله، وجهد جهده لينفي سلطان الغيب عن نفسه، ويطرد سمعة المعجزة عن دعوته، وهي طبيعة منقادة بين يديه؛ فإن جاز في حقه هذا الحكر المغتصب، فهل يجوز في حقه أن يغتصبه من الله، وأن يأمن تكذيب الله إياه، وقدرته على إخلاف دعواه؟

إن اختتام النبوة لا يُفهم هذا الفهم الصغير في عقل يطيق أن يدرك الواقع من أمر دعوة عظيمة، ولا شأن عظيم، ولو كان احتكار النبوة باعث النبي إلى دعواه لما دخل فيها ذهاب سلطان الأحبار والولاة، ولا دخل فيها ادعاء النبوة أصلا وهي لا تخول النبي ولا مدعي النبوة أن يحجب المغيب المجهول من مشيئة الله.

ولكن الإيمان بالعقل المسئول هو الباعث البيّن الذي يُفسر ما لم يفسره صغار العقول من اختتام النبوة، واختتام الكهانة، واختتام سلطان الحاكمين على الضمير، وأن انتظامه كله على هذه السّنة المتفقة لهو الآية الناطقة بإرادة الله.

الهوامش:

١. سورة آل عمران، الآية ١٩١.
٢. سورة الروم، الآية ٨.
٣. سورة الأعراف، الآية ١٨٨.
٤. سورة الأنعام، الآية ٥٠.
٥. سورة الحجر، الآيتان ١٤ و١٥.
٦. سورة البقرة، الآية ١٦٤.
٧. سورة النساء، الآية ٩٧.
٨. سورة سبأ، الآية ٣٢.
٩. سورة التوبة، الآية ٣٤.
١٠. سورة التوبة، الآية ٣١.
١١. سورة النحل، الآية ٤٣.

المصدر: عباس محمود العقاد، «الإنسان في القرآن»، شركة نهضة مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

منوّعات

لماذا كان الأئمة من ولد الامام الحسين عليه السلام لا الامام الحسن عليه السلام؟

السؤال: من المعلوم أن الحسن عليه السلام هو ابن علي عليه السلام، وأمه فاطمة عليها السلام، وهو من أهل الكساء عند الشيعة، ومن الأئمة المعصومين عليهم السلام، شأنه في ذلك شأن أخيه الحسين عليه السلام، فلماذا انقطعت الإمامة عن أولاده واستمرت في أولاد الحسين؟ فأبوهما واحد وأمهما واحدة، وكلاهما سيدان، ويزيد الحسن عليه السلام على الحسين عليه السلام بواحدة هي أنه قبله وأكبر منه سناً.

الجواب:

ولإيجاد الجواب، لا بد من التركيز على عدة نقاط ضرورية:

النقطة الأولى

إن الإمام مُعيّن، ويُنصّب من قبل الله تعالى

إن النسب وإن كان له قيمة، ولكنه ليس هو الميزان والمعيار في استحقاق الإمامة، بل المعيار هو الاختيار الإلهي لصفوةٍ خلقهم، وعلم سرائرهم، وخَبَر حالهم، وأهّلهم بألطافه الغيبية لمقام النبوة، أو الإمامة. واختارهم من أهل بيت عليهم السلام بعينه، عاشوا فيه الطهارة بجميع حالاتها ومراتبها وأوضاعها ، وفي جميع مراحل حياتهم.

فإن كان لديكم اعتراض وسؤال على ذلك، فلا يتوجه إلى الشيعة، بل هو اعتراض على الله سبحانه، حيث حسم الأمر في آية مباركة تقول: «... **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...**»[١]

ويمكن فهم كون الإمام معينا، من ضرورة وجود الشروط للإمامة؛ لان تشخيص تحقق هذه الشروط لدى شخص ما، غير ممكن بالنسبة للأناس؛ بل أن الله وحده العالم بتحقق هذه الصفات لدى الشخص.

عن أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام: **بم يعرف الإمام؟** قال عليه السلام:

«**بخصال أوّلها نصّ من الله تبارک و تعالى عليه و نصبه علماً للنّاس حتّى يكون عليهم حجّةً لأنّ رسول اللّه ص نصب عليّاً و عرّفه النّاس باسمه و عينه و كذلک الأئمّة ع ينصب الأوّل الثّاني و أن يسأل فيجيب و أن يسكت عنه فيبتدئ و يخبر النّاس بما يكون في غد و يكلّم النّاس بكلّ لسان و لغة.**»[٢]

وعن سبب هذا التنصيب، يقول الإمام السجاد عليه السلام:

«**الإمام منا لا يكون إلا معصوما و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها و لذلک لا يكون إلا منصوصا فقيل له يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم فقال هو المعتصم بحبل الله و حبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة و الإمام يهدي إلى القرآن و القرآن يهدي إلى الإمام و ذلک قول الله عز و جل: «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**»[٣]

وتوضح هذ الرواية، أن الإمام يجب أن يملك العصمة، وبما أن الناس لا يستطيعون تشخيص المعصوم، وأن الله وحده العالم بجميع وجود الناس وقادر على تشخيص المعصوم، لذلك فان تنصيب الإمام في منصب الإمامة هو بعهدة الله وليس من عمل البشر.

عن **محمّد بن أبي يعقوب البلخيّ** قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام قلت له: **لأيّ علّة صارت الإمامة في ولد الحسين عليه السلام دون ولد الحسن عليه السلام؟** قال:

«**لأنّ اللّه عزّ و جلّ جعلها في ولد الحسين و لم يجعلها في ولد الحسن و اللّه لا يسئل عمّا يفعل.**»[٤]

... إنّ **موسى** عليه السلام و **هارون** عليه السلام كانا نبيّين مرسلين و كان موسى عليه السلام أفضل من هارون عليه السلام فجعل اللّه عزّ و جلّ النّبوّة و الخلافة في ولد هارون عليه السلام دون ولد موسى عليه السلام و كذلك جعل اللّه عزّ و جلّ الإمامة في ولد الحسين عليه السلام دون ولد الحسن عليه السلام ليجري في هذه الأمّة سنن من قبلها من الأمم...[٥]

والمحصلة أن الإمام يجب أن يملك شروطا، وبما أن الله وحده القادر على تشخيص أن هذه الشروط قد توافرت كدى شخص ما، لذلك فان منصب الإمامة، يُعين من قبل الله. ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«**إن الإمامة عهد من الله عز و جل معهودة لرجال مسمّين ليس للإمام أن يزويها عن الذى يكون من بعده.**»[٦]

النقطة الثانية

إن رسول الله صلى الله عليه وآله هو من ذريته إسماعيل عليه السلام، لا إسحاق عليه السلام

لماذا فضل الله تعالى **إسماعيل** عليه السلام على **إسحاق** عليه السلام، فجعل من ذريته سيد الكائنات، وأفضل الخلق محمداً صلى الله عليه وآله، ولم يجعله في ذرية إسحاق عليه السلام، مع أن كثيراً من الأنبياء كانوا من إسحاق باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وآبائه عليهم السلام.

كما أن النبوة في ذرية **يعقوب** عليه السلام كانت في واحد من أولاده الاثني عشر، دون سائر أولاده، كما أن ابن **نوح** عليه السلام الذي ذكره الله عز وجل في كتابه لم يكن من أهل النجا ، بل كان من الهالكين، فضلاً عن أن ينال مقام النبوة أو الإمامة. فكانت النبوة في بعض ذرية نوح دون بعض، وكذلك الحال بالنسبة لموسى عليه السلام وهارون عليه السلام، فإن النبوة كانت في ولد هارون عليه السلام لا في ولد موسى عليه السلام. ألا يدل ذلك على أن الله تعالى لا يختار الأنبياء والأوصياء على أساس النسب. وإنما وفق معايير وعوامل أخرى، قد يكون للنسب فيها بعض الأثر، من حيث هو عامل مساعد في توفير المحيط الخالص في طهره، والزاخر في نفحات القداسة، والطافح بالمعاني والقيم الروحية؟!

النقطة الثالثة

كلا الإمامين من أهل الكساء

إن الحسن والحسين عليهما السلام كانا من أهل الكساء، وهذه إشارة إلى حديث الكساء الذي رواه أهل السنة بأسانيد صحيحة، وقد جاء هذا الحديث تطبيقاً لآية التطهير: «... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**»[٧]

فإنه تضمن تطهير الخمسة: النبي صلى الله عليه وآله، علي عليه السلام، فاطمة عليها السلام، الحسن عليه السلام والحسنين عليهما السلام، ولم يدخل العباس عم النبي صلى الله عليه وآله، ولا أبناءه، ولا غيرهم من أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وآله، مع أنه أدخل علياً عليه السلام وهو ابن عمه، والعم أقرب من ابن العم. إلا في صورة اجتماع ابن عم للأب والأم مع عم للأب فقط، فإن ابن العم هنا يكون أقرب من العم.

النقطة الرابعة

شرط السنّ لا أثر له في انتخاب الإمام

إن كبر السن وصغره لا أثر له في اختيار الإمام من ذرية هذا أو ذاك، بل الميزان أمور أخرى تدخل في نطاق الأهلية التي يراها الله تعالى في الذرية الصالحة لمقام الإمامة، أو النبوة.

الهوامش:

١. سورة الأنعام، الآية ١٢٤.
٢. «بحار الانوار»،ج ٢٥، ص ١٤١؛ «معانى الاخبار»، ص ١٠١.
٣. «بحارالانوار»، ج ٢٥، ص ١٩٤؛ «معانى الاخبار»، ص ١٣٢.
٤. «علل الشرايع» ج ١، ص ٢٠٨.
٥. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩.
٦. «الكافي»، الكليني، ج ١، ص ٢٧٧.
٧. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

المصادر:

١. موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية.
٢. موقع إسلام كوئست.

منوّعات
* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

منوعات

عهد الحسن عليه السلام

٢٨ صفر، ذكرى استشهاد حسن بن علي المجتبى عليه السلام

روى **عبد الله بن إبراهيم عن زياد المخارقي** قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين بن علي عليه السلام و قال:

«يا أخي إني مفارقك و لاحق بربي جل و عز و قد سقيت السم و رميت بكبدي في الطست و إني لعارف بمن سقاني السم و من أين دهيت و أنا أخاصمه إلى الله تعالى فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء و انتظر ما يحدث الله عز ذكره في فإذا قضيت فغمضني و غسلني و كفني و احملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدد به عهدا ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد – رحمة الله عليها – فادفني هناك و ستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في منعكم عن ذلك و بالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم.»

ثم وصى عليه السلام إليه بأهله و ولده و تركاته و ما كان وصى به إليه أميرالمؤمنين عليه السلام حين استخلفه و أهله لمقامه و دل شيعته على استخلافه و نصبه لهم علما من بعده.

فلما مضى عليه السلام لسبيله غسله الحسين عليه السلام و كفنه و حمله على سريره و لم يشك مروان و من معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمعوا له و لبسوا السلاح فلما توجه به الحسين بن علي عليه السلام إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدد به عهدا أقبلوا إليهم في جمعهم و لحقتهم **عائشة** على بغل و هي تقول ما لي و لكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب و جعل **مروان** يقول: **يا رب هيجا هي خير من دعه. أ يدفن عثمان في أقصى «المدينة» و يدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبدا و أنا أحمل السيف.**

و كادت الفتنة تقع بين بني هاشم و بني أمية فبادر **ابن عباس** إلى مروان فقال له: **ارجع يا مروان من حيث جئت فإنا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله لكنا نريد أن نجدد به عهدا بزيارته.**

ثم نرده إلى جدته فاطمة عليها السلام فندفنه عندها بوصيته بذلك و لو كان وصى بدفنه مع النبي صلى الله عليه وآله لعلمت أنك أقصر باعا من ردنا عن ذلك لكنه عليه السلام كان أعلم بالله و رسوله و بحرمة قبره من أن يطرق عليه هدما كما طرق ذلك غيره و دخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة فقال لها وا سوأتاه يوما على بغل و يوما على جمل تريدين أن تطفئي نور الله و تقاتلين أولياء الله. فقد كفيت الذي تخافين و بلغت ما تحبين و الله تعالى منتصر لأهل هذا البيت و لو بعد حين.

جملت تبغلت
و لو عشت تفيلت
لك الثمن من التسع
و في الكل تطمعت

و قال ابن عباس لعائشة: **وا سوأتاه! يوما على بغل و يوما على جمل**، و في رواية: **يوما تجملت و يوما تبغلت و ان عشت تفيلت!**

و قال الحسين عليه السلام: **«و الله لو لا عهد الحسن عليه السلام إلي بحقن الدماء و أن لا أهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها و قد نقضتم العهد بيننا و بينكم و أبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا.»**

و مضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليها السلام و أسكنها جنات النعيم.

المصدر: الشيخ المفيد، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ج ٢، سص ١٨–١٩.

الجنة في الطوس

٣٠ صفر، ذكرى استشهاد علي بن موسى الرضا عليه السلام

روي عن **محمد بن الجهم** أنه قال:

كان الرضا عليه السلام يعجبه العنب فأخذ له منه شيء فجعل في موضع أقماعه الإبر أياما ثم نزعت منه و جيء به إليه فأكل منه و هو في علته التي ذكرناها فقتله و لما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوما و ليلة ثم أنفذ إلى محمد بن جعفر الصادق عليه السلام و جماعة من آل أبي طالب عليهم السلام الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه إليهم و بكى و أظهر حزنا شديدا و توجعا و أراهم إياه صحيح الجسد و قال:

يعز علي يا أخي أن أراك في هذه الحال قد كنت آمل أن أقدم قبلك.

فأبى الله إلا ما أراد ثم أمر بغسله و تكفينه و تحنيطه و خرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه و الموضع دار **حميد بن قحطبة** في قرية يقال لها «سناباد» على دعوة من «نوقان» بأرض «طوس» و فيها قبر **هارون الرشيد** و قبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته.

المصدر: الشيخ المفيد، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ج ٢، ص ٢٧١.

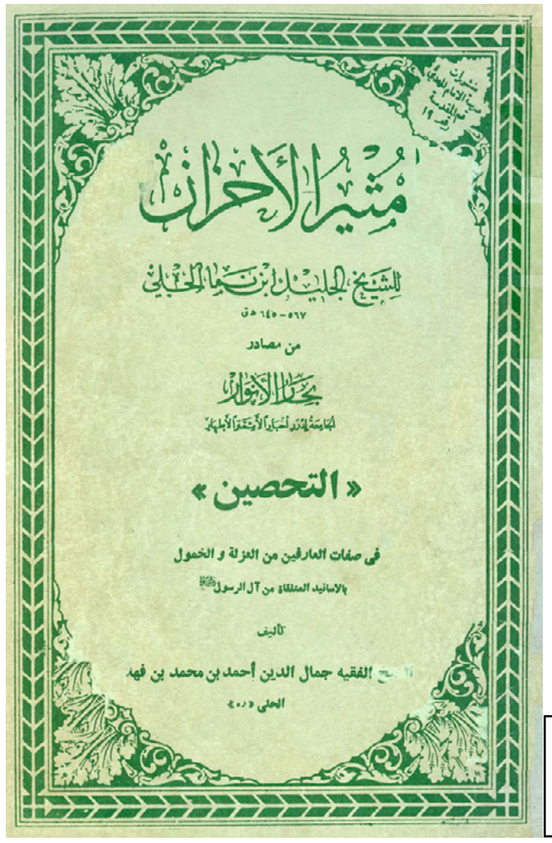

مثير الأحزان

«مثير الأحزان» **لنجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ابن نما** المشهور **بابن نما الحلي**. هو **نجم الملة والدين** الملقب ب**نجيب الدين** والمكنى **بأبي ابراهيم** نسبة إلى قبيلة ربيعة العربية الشهيرة في التأريخ.

ولد في «الحلة» سنة ٥٦٧ هـ.ق. ونشأ نشأة علمية ودرس على أبيه وعلى غيره من الاعلام المعاصرين له منهم **فخر الدين محمد بن إدريس الحلي العجلي**، و**الشيخ محمد بن المشهدي** وله الرواية عنهم.

وخلف له آثارا علمية مفيدة قيمة أشهرها كتاب «مثير الاحزان» وهو الكتاب المعروف الذي مثل فيه مؤلفه واقعة الطف العظيمة التي رن صداها في أجواء العالم الشرقي والغربي منذ القرن الاول للهجرة حتى القرن الرابع عشر ، ولا يزال يتجدد صداها ، وتعاد ذكرياتها المؤلمة ، ومؤاساتها المحزنة على مر الايام ، وتوالي الزمن.

رتب ابن نما هذا الكتاب حول واقعة «كربلاء» في ثلاثة مقاصد:

الأول: يتحدث عن الأمور التي حصلت قبل معركة كربلاء، مثل ولادة الإمام الحسين عليه السلام وتنبؤ رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة الإمام عليه السلام ووقائع ثورة عاشوراء من حين موت معاوية وطلب البيعة ليزيد وخروج الإمام عليه السلام من المدينة إلى حين الوصول إلى كربلاء، وأيضاً عرض النشاطات والتحركات الشعبية، وثورة **مسلم بن عقيل**؛

المقصد الثاني: تحدث فيه المصنف بشكل مختصر، عن أيام الإقامة في كربلاء، وليلة عاشوراء ويومها، ووقائع المعركة وشهادة بني هاشم، إلى حين شهادة الإمام عليه السلام وبعض الحوادث التي وقعت بعد الشهادة؛

المقصد الثالث: يتناول فيه بعض القضايا التي حصلت بعد الشهادة وبيان حادثة أسر أهل البيت عليهم السلام وحملهم إلى «الكوفة» ثم إلى «الشام» ثم إرجاعهم إلى «المدينة» المنورة.

وقال مصنف هذا الكتاب: **ان الذي بعثني على عمل هذا المقتل انى رايت المقاتل قد احتوى بعضها على الاكثار والتطويل. وبعضها على الاختصار والتقليل. فهى بين طويل مسهب. وقصير قاصر عن الفوايد غير معرب. والنكت فيها قليلة. ومرابعها من الطرف والغرائب محيلة. فوضعت هذا المقتل متوسطا بين المقاتل. قريبا من يد المتناول. لا يقصى لملالة وهذر. ولا يجفى لنزارة وقصر. ترتاح القلوب الى عذوبة الفاظه. ويوقظ الراقد من نومة وإغماظه. وتسرح النواظر في رياضه وينبه الغافل. عن هذا المصاب والذاهل عن الجزع والاكتئاب.**

واودعته ما أهمله كثير من المصنفين. واغفلته خواطر المؤلفين. وسميته «مثير الاحزان» أو «منير سبل الاشجان».

المصدر: دراسة حول المقاتل والمصنفات العاشورائية منذ بدايتها وإلى عصرنا الحاضر، شبكة المنبر almenbar.org

منوعات

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

الحاخام القائد والتناقض الديني العلماني

توجد تناقضات عميقة تعتمل داخل التجمع الصهيوني من أهمها التناقض الديني العلماني. كما توجد تناقضات هامة في حد ذاتها مثل التناقض الإشكنازي / السفاردي، ولكنها تقل في أهميتها عن التناقض الديني العلماني. وقد عبّر الحاخام **عوفاديا يوسف** عن تناقضات التجمع الصهيوني حين أصدر منذ عدة أعوام فتوى دينية شهيرة حول تأييد الانسحاب الإسرائيلي من أراضي عربية محتلة (حقنا للدماء وصونا للأرواح اليهودية). وقد استدعى الحاخام مفهوما دينيا يهوديا هو «بيكواح نيفيش» أي «فداء النفس»، أي أن النفس اليهودية أغلى من الأرض (اليهودية) ولا يصح التضحية بها.

ولكن هذا الحاخام نفسه صرح في موعظته الأسبوعية في عيد الفصح العبري عام ٢٠٠٠م. بأن: **الإله يجب أن يدمر العرب** وطلب من أتباعه أن يكرروا وراءه عبارة **صب غضبك على الأغيار** كما طلب من الإله **أن يرد الصاع صاعين إلى العرب وأن يقطع نسلهم ويبيدهم ويذلهم ويمحو أثرهم.** وفي مناسبة أخرى، صرح بان **العرب أنجاس وأفاع** وأن **الإله يندم كل يوم على أنه خلق ذرية إسماعيل.**

وقد حاول بعض المتحدثين الرسميين الإسرائيليين التخفيف من حدة وقع هذه التصريحات العنصرية، فقالوا إن الحاخام يقصد «المخربين» وليس العرب على وجه العموم. وكما قال الحاخام **ميخائيل ملكيئور**[1] فإن: **ثمة وصية في الدين اليهودي تقول لنا بعدم إدارة الخد الأيسر لمن يصفعنا على الخد الأيمن. ومن هنا، فليس المطلوب منا أن نكون إنسانيين مع الذين يريدون المس بنا تنفيذا للوصية القائلة: الذي يأتي القتلك بكروا بقتله.**

وفي هذا السياق، لا يهمنا اتهام الحاخام يوسف بالعنصرية أو تبرئته من التهمة أو التخفيف منها، وإنما يهمنا أن نفسر سرّ هذا التحول حتى نفهم حركيات التجمع الصهيوني. ولفهم هذا، لابد وأن نضع اللعنات التي صبها عوفاديا يوسف على العرب في سياق أوسع من اللعنات الأخرى!

وقد أعلن الحاخام في فبراير عام ١٩٩٩م. أن كل قضاة المحكمة العليا في إسرائيل نجسون يرتكبون الفاحشة،[1] كما صب لعناته على النساء العلمانيات اللائي لا يمارسن شعائر الطهارة وبالتالي يلدن أطفالا نجسين. وفي عام ١٩٩٧م.، صرح بأن: **الرجل يجب ألا يسير بين امرأتين أو حمارين أو جملين.** لماذا؟ **لأن النساء لا يعرن التوراة أي التفات، وكل من يسير بالقرب منهن يصبح مثلهن.** وفي ٣ مارس/ آذار ٢٠٠٠م.، قال الحاخام في إحدى مواعظه إنّ **يوسي ساريد**[3] ملعون، تماما مثل كل أعداء اليهود وأن الإله سيجتثه من جذوره. وقد أدلى الحاخام بتصريحه هذا قبل عيد البوريم حيث يتم شنق تمثال **هامان**، الوزير الفارسي الذي حاول أن يبيد اليهود.

ولم تسلم المؤسسة الدينية الأشكنازية من هجمات الحاخام عوفاديا يوسف، فحينما سُئل عن أقرب العقائد الدينية إلى اليهودية قال «حركة حبد»، وهي حركة دينية إشكنازية يهودية أرثوذكسية. وهو بتعليقه هذا ينكر عليها صفة اليهودية.

الهجوم، إذن، ليس ضد العرب وحدهم وإنما ضد حزمة من المؤسسات والعقائد والجماعات البشرية، فما هي دوافع الحاخام؟ ابتداء، يجب أن نشير إلى أن الحقيقة الأساسية في حياة الحاخام عوفاديا يوسف هي أنه مؤسس «حزب شاس» وزعيمه الروحي، وهو حزب ديني / قومي سفاردي. والحاخام من مواليد «العراق» (١٩٢٠م.)، وكان رئيس المحكمة الدينية اليهودية في القاهرة (١٩٤٧-١٩٥٠م.)، والحاخام السفاردي الرئيسي لمدينة «تل أبيب» (١٩٥٤-١٩٧٢م.)، والحاخام السفاردي الرئيسي في إسرائيل (١٩٧٣-١٩٨٣م.).

والواقع أن بزوغ نجمه هو انعكاس لعدم تجانس التجمع الصهيوني. فهذا التجمع منقسم على نفسه عدة انقسامات: فهناك الانقسام الأكبر وهو الانقسام الديني العلماني، ولكن هناك انقساما آخر لا يقل عن الانقسام الأول أهمية هو الانقسام الغربي الشرقي. والجدول التالي بالتقسيم على أساس ديني يبين مدى تداخل الأمور في إسرائيل:

	التجمع الصهيوني (بالمئة)	الإنقسامات
١	٣,٩	أرثوذكس متطرفون (حاريدي)
٢	١١,٠	متدينون (داتي)
٣	٢٦,٨	تقليدي (ماسورتي)
٤	٢٤,٣	علماني يحتفظ ببعض التقاليد (حيلوني حاميكاييم ماسورت)
٥	٣٠,٦	علماني (حيلوني)
٦	٤,٤	معادٍ للدين

والجدير بالذكر أن الماسورتي (التقليدي) ليس متدينا بالمعنى المعروف وإنما هو من يرى ضرورة الحفاظ على التقاليد الإثنية الدينية (نوعا من أنواع الفولكلور)، وهو ليس بالضرورة من يؤمن بالعقيدة.

وتزداد الصورة تركيبا إن صنفنا أعضاء التجمع الصهيوني على أساس أصولهم العِرقية. وإلى جانب هذه الانقسامات والصراعات، يوجد الصراع الأكبر، وهو الصراع العربي الإسرائيلي. لكن هذا الصراع، رغم تأثيره العميق على الصراعات الأخرى، يتطلب معالجة منفصلة.

وقد أسس الدولة الصهيونية مجموعة من يهود شرق أوربة ممن فَقدوا إيمانهم الديني وأصبحوا ملاحدة يرون أن الصهيونية إنما هي ثورة على العقيدة اليهودية. فالرواد الصهاينة أو الآباء الصهاينة كانوا لا يكنون أي حب أو احترام للعقائد والتقاليد اليهودية، وكانوا يرون أن دولتهم العبرية تشكل نهاية للشخصية اليهودية التقليدية وبداية للشخصية العبرية التي تصاغ على نمط الشخصية القومية العلمانية في الغرب، وعلى هذا الأساس تم تأسيس الدولة الصهيونية. ولكن الدولة الصهيونية، مع هذا، ادعت أنها «دولة يهودية» تستمد شرعيتها من كونها يهودية. مع دخول الفكر العلماني مرحلة الأزمة على المستوى العالمي وعلى مستوى إسرائيل، بدأت المؤسسة الدينية في إسرائيل تطرح نفسها بديلا. فعلت ذلك على استحياء في بادئ الأمر. ومع تصاعد أزمة الصهيونية العلمانية، ازدادت هذه المؤسسة الدينية ثقة بنفسها وازدادت نبرتها حدة.

وتطالب المؤسسة الدينية أن تصبح الدولة اليهودية «يهودية» بالمعنى الديني وليس بالمعنى الإثني، بمعنى أن يهودية هذه الدولة يجب ألا تكمن في مجموعة من الرموز القومية الدينية (مثل النشيد القومي وأنواع معينة من الطعام... إلخ) وإنما يجب أن تتبدى في مجموعة من الممارسات والشعائر الدينية الحقيقية (مثل إقامة شعائر السبت التي يرى العلمانيون أنها قاسية للغاية وتحرمهم من عطلة نهاية الأسبوع، واتباع قوانين الكاشروت، أي الطعام المباح شرعاً، وهي كثيرة ومركبة وصعبة).

وإلى جانب الصراع الديني العلماني، يقوم الصراع السفاردي/ الأشكنازي (الشرقي/ الغربي). فمن المعروف أن التقاليد السفاردية الدينية، أي المنهاج السفاردي، كان له اليد الطولى في «فلسطين»، وكان على الحاخامات الأشكناز أن ينضموا إلى الجماعة الدينية السفاردية التي كان يترأسها **ريشون لتسيون** (الأول في صهيون) وهو حاخام سفاردي كان يختاره المجلس الحاخامي ثم توافق عليه السلطة العثمانية.

ولكن، ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر، ومع تزايد النفوذ الغربي، بدأت في الظهور جماعات إشكنازية مستقلة تمولها الجماعات اليهودية في أوربة وبمساعدة قناصل الدول الغربية، خاصة روسية القيصرية التي كانت تبذل قصارى جهدها في التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. وبدأ سلطان الأشكناز يتزايد حتى عام ١٩١١م. حينما وافق الحاخام السفاردي **بن زيون أوزايل** أن يقتسِم السلطة الدينية مع الحاخام **يتسحاق كوك**. ولكن ما حدث أن الحاخام كوك، وكان صهيونيا حتى النخاع، نجح تقريبا في الاستئثار بها حتى سادت التقاليد الأشكنازية، ووجد الحاخام السفاردي نفسه مضطرا للتنازل إلى أن وصل الأمر إلى أن أصبحت الثقافة السفاردية الدينية والشعبية موضع احتقار، وتحت شعار صهر المنفيين، حاولت المؤسسة الأشكنازية محو هوية السفارد.

ويقود الحاخام عوفاديا يوسف ثورة ضد هذا الوضع بشقيه الديني والإثني ليعيد الأمور إلى ما كانت عليه، وليعيد المنهاج الديني السفاردي إلى مكان القيادة ويؤكد الهوية السفاردية. فهو، إذن، يقود صراعا حضاريا تبدي في تأسيسه لحزب شاس الذي أخذ يتعاظم نفوذه في الخارطة السياسية الإسرائيلية إلى أن حصل على ١٧ مقعدا في الكنيست في انتخابات ١٩٩٩م.، وبذلك أصبح ثالث حزب ومنافسا قويا لحزب الليكود على القواعد الشعبية الشرقية التي يرتكز إليها والتي استطاع من خلالها مناحم بيجين أن يحقق ثورته الانتخابية عام ١٩٧٧م. حينما أسقط المؤسسة العمالية وحل محلها.

ويحاول الحاخام عوفاديا يوسف تأكيد الهوية اليهودية الدينية الإثنية الشرقية، وعلى هذا فإن صراعه الحضاري يتم على المستويين الديني والإثني. وهو لم يكتف بابتزاز الحكومات الإسرائيلية المتتالية لتمويل نظامه التعليمي او مؤسساته الاجتماعية بل نجده يحاول الآن أن يلعب دورا سياسيا قياديا حتى يمكنه المشاركة في السلطة وحتى يمكن إعادة تقسيم الثروة القومية اليهودية.

وفي إطار هذا المناخ السياسي العام المشبع بالتفكير العنصري ضد العرب (خاصة بعد تصاعد الانتفاضة) والمشبع بالخوف منهم، يتم التحرك في إسرائيل. ولعل تخلي الحاخام عوفاديا يوسف عن موقفه القديم بخصوص «فداء النفس» بمثابة محاولة من جانبه لأن يثبت

للجمهور الإسرائيلي أن حزبه الشرقي قد تأسرل تماما وأنه من ثمّ قادر على قيادة الدولة الصهيونية، ولعل الهجوم على العرب يكسبه قدرا كبيرا من الشرعية.

الهوامش:

١. من حزب ميماد الديني «المعتدل» والمؤتلف مع حزب العمل.
٢. «معاريف، ١٩ مارس/ آذار ٢٠٠٠م.
٣. وهو من أهم شخصيات اليسار العلماني.

المصدر: د. عبدالوهاب المسيري، «الصهيونية وخيوط العنكبوت»، دمشق، دارالفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.، بالتلخيص.

السيّد بن طاووس

لما تم احتلال بغداد من قبل التتر أمر **هولاكو** أن يستفتي العلماء: **أيما أفضل؟ السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟** ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب، و هو كان حاضرا هذا المجلس وكان مقدما محترما، فلما رأى أحجامهم تناول الفتيا و وضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده.[١]

ويتحدر السيد بن طاووس من أسرة شيعية شهيرة وذات تاريخ، وكانت أسرة بن طاووس من مدينة «الحلة» لكنها سكنت في بغداد. إن هذه الأسرة وفضلا عن نسبها المتألق والذي يوصلها إلى ذرية النبي الأكرم ﷺ، كانت صاحبة موقع ومكانة علمية واجتماعية سامية، ومن المجموعات ذات الوقع على الأوضاع الاجتماعية للشيعة، بحيث أن نقابة الطالبيين في أواخر الدولة العباسية والإيلخانية، كانت بعهدة هذه الأسرة. وأشهر شخص فيها كان السيد رضي الدين علي بن طاووس.

نبذة عن حياة السيد بن طاووس

هو **السيّد رضيّ الدين أبو القاسم عليّ بن سعد الدين** قد عرف **بابن طاوس** لأنّ جدّه **السيّد محمّد بن إسحاق** كن حسن المنظر جميل الوجه، فلقّب بالطاوس وقد لقّب السيّد عليّ بن طاوس **بذي الحسبين**، لأنّه علويّ الطرفين، فنسبه من جهة أبيه ينتهي إلى الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونسبه من جهة أمّه ينتهي إلى الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٢] ولد في «الحلة» في منتصف المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة ونشأ بها سنين وقد كانت آنذاك مزدهرة ثقافيّا وعلميّا، وكانت مركزا مهمّا من مراكز الإشعاع الفكريّ، فأنجبت الكثير من الفقهاء والعلماء والأدباء، فكان لهذا الجوّ العلميّ والتحرّك الثقافي الواسع أكبر الأثر في حياة ابن طاوس، مضافا إلى أسرته العلميّة الكريمة الّتي كانت وما زالت من مفاخر الأسر الشيعيّة الّتي رفدت الدنيا بالعلوم والمصنّفات والمؤلّفات. في هذا الجوّ الخيّر نشأ ابن طاوس، بين جدّه **ورّام** ووالده **موسى** الذى كان من الرواة المحدّثين، ومن العلماء الفاضلين (وروى عنه في في كتبه)، فتعلّم الخطّ والعربيّة، وقرأ علوم الشريعة المحمديّة، فقرأ كتبا في أصول الدين، واشتغل بعلم الفقه.

ثمّ بعد إتمامه لهذه المقدّمات العلميّة آنذاك، ابتدأ بحفظ كتاب «الجمل والعقود»، وأخذ ينظر ويقرأ ما في كتب عدّة في الفقه ممّا انتقل إليه من جدّه ورّام عن طريق والدته. لمّا فرغ من كتاب الجمل والعقود قرأ كتاب «النهاية» **للشيخ الطوسيّ**، ثمّ استظهر على علم الفقه، وعرف وجوه الخلاف، وقرأ كتبا عدّة لجماعة، كماسمع الرواية وحاز على إجازات فيها، وصار من المجيزين فيها، إضافة إلى علوم أخرى وكتب كثيرة اطّلع عليها، فصنعت منه عالما نحريرا وعلما من أعلام الأمّة ثمّ ترك ابن طاوس الحلّة متوجّها إلى بغداد، وذلك في حدود سنة ٦٢٥هـ.ق.، وفيها تزوّج زوجته **زهراء خاتون**، و أوجب ذلك طول الاستيطان ب«بغداد».[٣]

في بغداد كان **المستنصر العبّاسيّ** قد أسكنه دارا في الجانب الشرقيّ منها، وكان المستنصر محبّا محسنا للعلويين، يسير فيهم بسيرة أبيه، كما كان محسنا للعلم والعلماء ولقد لقي ابن طاوس

غاية الاحترام والإكرام عند رجال الدولة، وكانت له صلات وثيقة بفقهاء النظاميّة والمستنصريّة، ومناقشات ومحادثات، كما كانت له صلات متينة مع الوزير **القمّيّ** وولده، والوزير **مؤيد الدين ابن العلقمي** وأخيه.[٤]

فرض ابن طاوس نفسه على الساحة العلميّة، فطلب منه الخليفة المستنصر التصدّي للفتوى، فرفض طلبه، ثمّ طلب منه تولّي نقابة الطالبيين، فامتنع من ذلك أيضا، وطلب منه الكثير من أجلاّء عصره وعلمائهم وفضلائهم التصدّي للفتيا والقضاء الشرعي، فرفض ذلك ولم يقبله، لانه مع دخول بن طاوس البلاط، كانت هذه مؤسسة الخلافة التي باتت محط اهتمام، وأن قبول ابن طاوس المناصب – بوصفه عالما متنفذا في عالم التشيع والذي كان يتحاشى دائما المناصب الحكومية بسبب زهده وورعه– كان يمكن أن يضفي مصداقية على مؤسسة الخلافة لدى الشيعة وتوجيه الأذهان والاهتمام نحو هذا الاتجاه من أنه إن كانت الخلافة العباسية حكومة غير مثالية – من وجهة نظر الشيعة– لما كان هذا العالم الشيعي يقدم على ذلك.[٥] لكن ومع سقوط الخلافة العباسية ومجئ الحكم الإيلخاني محلها قبل السيد منصب النقابة، وتولاه إلى أن وافته المنية.

بل إنّ ابن طاوس نفسه يحدّثنا أنّ المستنصر طلب منه أن يقبل الوزارة، فرفض هذا العرض رفضا قاطعا، قائلا للمستنصر:

إذا كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء؛ يمشّون أمورهم بكلّ مذهب وكلّ سبب، سواء كان ذلك موافقا لرضى الله ورضى سيّد الأنبياء والمرسلين، أو مخالفا لهما في الآراء، فإنّك من أدخلته في الوزارة بهذه القاعدة قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة وإن أردت العمل في ذلك بكتاب الله جلّ جلاله وسنّة رسوله ﷺ، فهذا أمر لا يحتمله من في دارك ولا مماليكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الأطراف، ويقال لك إذا سلكت سبيل العدل والانصاف والزهد: أنّ هذا عليّ بن طاوس علويّ حسنيّ، ما أراد بهذه الأمور إلاّ أن يعرّف أهل الدهور أنّ الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السّيرة، وأنّ في ذلك ردّا على الخلفاء من سلفك وطعنا عليهم، فيكون مراد همّتك أنّ تقتلني في الحال ببعض أسباب الأعذار والأحوال، فإذا كان الأمر يفضي إلى هلاكي بذنب في الظاهر، فها أنا ذا بين يديك، اصنع بي ما شئت قبل الذنب فأنت سلطان قادر.[٦]

السيّد بن طاووس و هجوم المغول

بعد وفاة المستنصر، تولّى ابنه **المستعصم بالله** أزمّة الأمور، وقد كان المستنصر ضعيفا ليّنا منقادا لحاشيته، فلم يستطع مقاومة جيوش التتار بقيادة هولاكو، كما قاومهم أبوه من قبل، حيث كان التتار قد استولوا على بلاد «خراسان» وطمعوا في بلاد العراق، فأرسلوا بعض جيوشهم لاحتلال العراق، فلقيتهم جيوش المستنصر فهزموا التتار هزيمة عظيمة.

وفي هذه المدّة كان السيّد ابن طاوس قد اقترح على المستنصر أن يخرج هو ويدبّر الأمر – لما عرف بثاقب بصيرته وصواب نظره من وحشيّة التتار وزحفهم على بغداد، وأنّه لا طاقة للخلافة الضعيفة بهم – فأشار عليهم أن يدبّر الأمر ويكفّ شرّ التتار، فاعتذروا بأنّ ذلك ممّا يزيد في طمع التتار في احتلال بغداد، ويزيد إيمانهم بضعف الخلافة فيها، فأشار السيّد ابن طاوس عليهم بأنّه يخرج مع علماء آخرين من السادة، ليلقوا التتار ويحدّثوهم، باعتبارهم أولاد الدعوة النبويّة والمملكة المحمديّة لا باعتبارهم وفودا مرسلة من قبل الخليفة، إلاّ أنّ السيّد قوبل بقولهم: **إذا دعت الحاجة إلى مثل هذا أذنّا لكم، لأنّ القوم الّذين قد أغاروا مالهم متقدّم تقصدونه وتخاطبونه، وهؤلاء سرايا متفرّقة وغارات غير متّفقة.**

كأنّ السيّد كان قد أدرك قوّة التتار منذ بدايات سراياهم وطلائع جيوشهم، فأراد أن يكفّ غائلتهم قبل البدء بالزحف الشامل على بغداد، خصوصا وأنّ بغداد ما زالت في عهد المستنصر، ربّما تمتلك شيئا من القوّة تساعد كثيرا في طمع التتار وقبوله بالمهادنة آنذاك، إلاّ أنّ ما يبدو هو أنّ انتصار الخليفة المستنصر عليهم في الجولة الأولى – والّتي كانت تضمّ السرايا المتفرّقة والغارات غير المتّفقة – كان قد أطمعه في الانتصار عليهم إلى الأبد، دون دراسة كاملة وشاملة لما كان يمتلك أولئك الغزاة من قدرات وقوى، ولما ستؤول إليه الخلافة.

في هذه الظروف الحرجة شاءت الأقدار أن تشمل مآسي احتلال بغداد ومخاوفها السيّد ابن طاوس وعائلته، تلك المآسي الّتي راح ضحيّتها ألف ألف نسمة، ولم يسلم إلاّ من اختفى في بئر أو قناة.

أما بالفعل فقد تشكلت عدة وفود لمقابلة هولاكو والتباحث معه حول السلام وحول ايقاف المجازر المهولة التي حلت بالمسلمين، كان آخرها و هو اعظمها – برئاسة السيد بن طاووس – وحيث افلح هذا التدبير في ايقاف الهجوم المغولي.

اما بعد احتلال بغداد أمر هولاكو باستفتاء العلماء: **أيّما أفضل، السلطان الكافر العادل، أم السلطان المسلم الجائر؟** فحفظ السيّد بمبادرته إلى هذه الفتوى ما استطاع أن يحفظ من دماء المسلمين وأعراضهم، وقد صرّح السيّد بذلك قائلا: **ظفرت بالأمان والإحسان، وحقنت فيه دماءنا، وحفظت فيه حرمنا وأطفالنا ونساءنا، وسلم على أيدينا خلق كثير.**[٧]

وبعد ذلك استطاع السيّد ابن طاوس أن يأخذ الأمان من المغول لباقي مدن «العراق»، فسلمت من نهب وسلب و وحشيّة التتار، ولم يصبها ما أصاب بغداد من الدمار وسفك الدماء وهتك الأعراض واستباحة الحرمات. ثمّ تولّى السيّد نقابة الطالبيين في سنة ٦٦١هـ.ق.، وبقي نقيبا لهم حتّى وافاه الأجل.

مساعي السيد لجهة توسيع التشيع

وفي كل حقبة، يسعى العلماء العارفون بالبحوث الدينية جاهدين للافادة من أفضل السبل والطرق لتوسيع ونشر الدين المبين. وفي زمن السيد بن طاووس، ونظرا إلى التطورات الفكرية والاجتماعية التي طرأت آنذاك، فان أفضل أسلوب كان هو الأسلوب الثقافي الذي استفاد منه السيد بأفضل وجه، إذ نشير تاليا إلى إجراءاته في هذا الخصوص:

١. الترويج للمنقبة وقراءة المقاتل

إن السيد بن طاووس ومن خلال الافادة من الفرصة السانحة لزوار الإمام الحسين عليه السلام ولحفظ ونشر مفاهيم عاشوراء الملحمية – ظلامة أهل البيت عليهم السلام وطلب الشهادة وعدم السكوت عن الظلم والجور والدفاع عن العقيدة – لجأ إلى كتابة «المقاتل» (كتاب اللهوف) وأصبح من خلال قراءة هذا المقتل، بصدد اجتذاب الزوار من أهل السنة وتبيان مثوبة العزاء الحسيني، ودعوتهم للتشيع.

لكن قراءة المنقبة تعد نوعا من المدح الديني والرواية الملحمية الدينية والفنية للشيعة، وتجرى في مقام الشكر لله وتبيان مناقب وكرامات النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام. ومع إقامة هذه المراسم، كان الأشخاص الذين لديهم تعصب ديني أو لا يعرفون شيئا عن الأئمة، ينجذبون نحو التشيع.

وعليه، فان السيد بن طاووس، نمّا وطور مراثي عاشوراء بمعان قيمة تتداعى منها قراءة المنقبة، وأدرج إمامة أهل البيت عليهم السلام كعنوان رئيسي بارز للتشيع، بين مقتله، وساهم بذلك مساهمة بالغة في توسيع نطاق التشيع وتحقيق أهدافه.

٢. المناظرات الكلامية والكتابية

وكان السيد بن طاووس متبحرا وبارعا في علم الكلام وفنون المناظرة، لذلك كان نقباء الشيعة، يرسلون أشخاصا من أهل السنة ممن كانوا يرغبون بالمناظرة، إلى السيد، الذي كان يجري مناظرة معهم فضلا عن جمع تفاصيل مناظراته في كتاب «كشف المحجة»، وحتى أنه ألف كتابا نظم فيه مناظرة افتراضية وأدرج مباحث مناظرته (في إطار شخص ذمي كان يريد اعتناق الاسلام) في ذلك الكتاب وأسمى الكتاب «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف».[٨]

ولإقناع أهل السنة، جعل السيد بن طاووس الصحاح الستة التي تشكل أساس فقه أهل السنة، معيارا لمناظراته. إن السيد ومن خلال الافادة من الآيات وروايات الكتب المذكورة، دخل في مناظرة مع عالم المستنصرية حول موضوع الإمامة الذي يعد أهم وجه يميز بين الشيعة وأهل السنة، وفي النهاية، أيد عالم المستنصرية، استدلال السيد. وكانت مناظراته مع باقي العلماء تجري في نفس السياق.

٣. قبول نقابة الشيعة لجهة إنقاذ أرواح المسلمين

إن السيد بن طاووس الذي كان يرى مع سقوط الخلافة العباسية وهيمنة المغول على الحكم، أن المجتمع الاسلامي والمسلمين، أصبحوا معرضين للخطر، قبل منصب النقابة الذي كان يرفضه من قبل، وذلك من أجل إنقاذ أرواح المسلمين، ليكون قد أنقذ بذلك الكثير من الشيعة وأهل السنة من الموت.

٤. الترويج لثقافة الدعاء

وعندما كان أئمة الشيعة يواجهون الضغوط السياسية للخلافة، كانوا يدرجون مضامينهم الأخلاقية والعقائدية وحتى السياسية في هيئة الدعاء.٩ ويقومون بذلك بإصلاح المجتمع وتنشئته. إن ابن طاووس بوصفه تلميذا لمدرسة أهل البيت عليهم السلام والذي كان مطلعا على مضامين أدعية الأئمة إضافة إلى امتلاكه الكثير من كتب الأدعية، ونظرا إلى المناخ المضطرب في المجتمع والدمار والخراب الواسعين اللذي قام بهما المغول، أقدم على كتابة كتب الأدعية (مقتطفات من أدعية الشيعة في كتبه بما فيها كتاب «المهمات والتتمات» والترويج لهذه الثقافة في المجتمع، ليجبر بذلك القلوب المنكسرة والمضطربة (لجهة أن قراءة الدعاء يجلب الهدوء وسكينة الروح ويخفف الآلام) إضافة إلى توسيع ثقافة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام في هيئة الدعاء.

فضله

كان رضي الدين على جانب كبير من العلم والفضل والمعرفة كما تشهد به مؤلفاته وآثاره وأقوال المؤرخين والرجاليين الذين ترجموا له وذكروه حتى آل الأمر ببعض أعلام عصره إلى طلب التصدي منه للفتيا والقضاء الشرعي، اعتمادا على فقهه العميق و ورعه الذي لا يتسرب إليه الشك وكان أيضا شاعرا أديبا منشئا بليغا. ونظرا إلى مصنفات السيد، وتلامذته وأقوال باقي العلماء بشأنه، يمكن استنتاج أنه كان عارفا تقيا ورعا وحكيما عالما يتجنب الاشتغال بالدنيا ويخطو لجهة التقرب الالهي فحسب، بحيث أنه أوصى ابنه هكذا:

إيّاك يا ولدي محمّد طهّر اللّه جلّ جلاله في تطهير سرائرك من دنس الاشتغال بغيره عنه و ملأها بما يقرّبك منه إذا احتجت إلى مخالطة الناس لحاجتك إليهم و لحاجتهم إليك، ثم إياك ثم إيّاك أن تغفل عن التذكر أن اللّه جلّ جلاله مطّلع عليهم و عليك، و أنكم جميعا تحت قبضته و ساكنون في داره، و متصرفون في نعمته و أنتم مضطرون إلى مراقبته، و أنه قد توعدكم بمحاسبته.[١٠]

و در جای دیگر فرموده است:

أنني كنت إذا حصل ميقات زيارات أجد قلبي ونفسي تنازع إلى الزيارة لأجل ورود الأخبار بثواب ذلك الميقات وإلا فلأي حال ما توجهت إلى الزيارة قبل تلك الأوقات فأخاف أن يكون عملي لمجرد الثواب والزيارة ولا يكون خالصا لوجه الله جل جلاله ولا لأنني أعبده لأنه جل جلاله أهل للعبادة على التحقيق والذي وصل إليه معرفتي أنه لا تصح العبادة على التحقيق واليقين إلا إذا كانت العبادة لله جل جلاله خالصة لأنه أهل للعبادة من غير التفات إلى ثواب عاجل ولا آجل.[١١]

مصنفاته

إن الظروف والأوضاع السياسية لكل حقبة كانت ترغم فقيه تلك الفترة على إدراج أفكاره في مؤلفاته. وكان للسيد بن طاووس، ومن خلال تأليفاته، دور ذو وقع في رفع التناقضات العلمية والاجتماعية وترسيخ أمن الشيعة، ووضع كتبا ومصنفات مازالت تشكل مصدرا يتوخاها الطلاب والعلماء المسلمون، ومن مصنفاته يمكن الإشارة إلى ما يلي:

١. عشرة مجلدات من كتاب «المهمات و التتمات» وصدر كل واحد منها بعنوان مستقل،
٢. «سعد السعود» (تقرير عن كتب مكتبته، وكان السيد بن طاووس يملك مكتبة ثرية تضم ١٥٠٠ كتاب. وهذه المجموعة تكتسي أهمية بسبب زوال الكثير من الكتب خلال الغزو المغولي.)،
٣. «كشف المحَجَة» (توصياته الأخلاقية لابنه)،
٤. «اللهوف» (الوقايع المذكورة حول واقعة كربلاء)،
٥. «فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم»،
٦. «محاسبة النفس»؛
٧. «طرف من الأنباء والمناقب»؛
٨. الدّروع الواقية
٩. «فتح الأبواب»،
و....

تلاميذ السيد بن طاووس

إن بعض تلامذة السيد بن طاووس هم:

١. **سديد الدين الحلي** (أب العلامة الحلي)،
٢. **العلامة الحلي**،
٣. **حسن بن داوود الحلي**،
٤. **عبد الكريم بن أحمد بن طاووس**،
٥. **علي بن عيسى الإربلي**.

وفاته

إنّ السيّد بن طاووس توفّي في «دار السلام» ببغداد، صباح الخامس من ذي القعدة، سنة ٦٦٤هـ.ق.، عن خمس وسبعين عاما مباركة من عمره، و دفن في «النجف الأشرف».

الهوامش:

١. «أعيان الشيعة»، السيد محسن الأمين، ج ٨، ص ٣٦٠.
٢. «كشف المحجة لثمرة المهجة»، السيد بن طاووس، ص ٤٢؛ «طرف من الأنباء والمناقب»، السيد بن طاووس، ص ٤١.
٣. «طرف من الأنباء والمناقب»، صص ٤٥-٤٦؛ «أعيان الشيعة»، ج ٨، ص ٣٥٨.
٤. «طرف من الأنباء والمناقب»، ص ٤٦.
٥. «نقش سيد بن طاووس در رشد فرهنگی و اجتماعی شیعیان» (دور ابن طاووس في النمو الثقافي والاجتماعي للشيعة)، محسن رحمتي و زينب بيرانوند، الفصلية العلمية البحثية لتاريخ الاسلام، العدد ٦٩.
٦. «طرف من الأنباء والمناقب»، ص ٤٧؛ «الدّروع الواقية»، السيد بن طاووس، ص ١٧.
٧. «طرف من الأنباء والمناقب»، صص ٤٨-٤٩؛ «الدّروع الواقية»، السيد بن طاووس، ص ١٩؛ «بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية»، السيد أحمد ابن طاووس، ص ١٨.
٨. «الطرائف في معرفة مذهب الطوائف»، السيد بن طاووس، ص ١٠.
٩. «دور ابن طاووس في النمو الثقافي والاجتماعي للشيعة».
١٠. «كشف المحجة لثمرة المهجة»، ص ١٥٧.
١١. «فتح الأبواب»، السيد بن طاووس، ص ٢٢٢.

ربط الأحداث العسكرية الاستعمارية بالدين..

فكرة أمريكية قديمة

ربط السياسة بالدين أمر زرعه اليهود في الفكر الأمريكي، ومن خلاله ظهرت الجماعة الإنجيلية التوراتية أو المسيحية الصهيونية وهي التي تحكم أمريكا منذ بداية التحرك للغزو في القرن التاسع عشر.

بعد احتلال الجزر في «الباسيفيك» استقبل الرئيسي الأمريكي **ماكينلي** في ستمبر ١٨٩٨م. وفداً من القساوسة من جمعية الكنائس التبشيرية، وبعد انتهاء الاجتماع وحين هم الجمع بالانصراف قال لهم الرئيس: **عودوا إلى مقاعدكم أيها السادة!** وتعجب الحاضرون ونظروا إلى الرئيس الذي أردف قائلاً:

سوف أقص عليكم نبأ وحي سماوي ألهمته، أريد أن أقول لكم إنني منذ أيام لم أنم الليل بسبب التفكير فيما عسى أن تصنعه تلك الجزر البعيدة، ولم يكن لدي أدنى فكرة عما يصح عمله، ورحت أذرع غرفتي ذهابا وإيابا، أدعو الله أن يلهمني الصواب، ثم وجدت اليقين يحل في قلبي والضوء يسطع على طريقي. إن تلك الجزر جاءتنا من السماء، فنحن لم نطلبها ولكنها وصلت إلى أيدينا هدية من خالقنا ولا يصح أن نردها، وحتى إذا حاولنا ردها فلن نعرف لمن نردها، وكيف؟

وقد بدا لي أولا أنه من زيادة الجبن وقلة الشرف والتخلي عن الواجب أن نعيدها إلى إسبانيا[1] ومن ناحية أخرى وجدت من سوء التصرف والتبديد أن نعهد بها إلى دولة أوربية متنافسة على المستعمرات في آسيا مثل «فرنسا» و«ألمانيا» ومن ناحية ثالثة أحسست أنه من غير الملائم أن نترك هذه الجزر لحماقة وجهل سكانها الذين لا يصلحون لتولي مسئوليتها.

وكذلك فإن الخيارات المفتوحة أمامنا تركزت في حل واحد هو في الواقع لمصلحة «الفلبين» قبل أي طرف آخر، وهذا الحل هو ضم الجزر إلى أملاكنا، بحيث نستطيع أن نقوم بتعليم سكانها ورفع مستواهم وترقية عقائدهم المسيحية ليكونوا حيث يريد لهم الرب، إخوة لنا فدتهم تضحية السيد المسيح كما فدتنا.

هذه هي العقلية والعقيدة الأمريكية منذ بداية تكوين الإمبراطورية وحتى الآن، من يستمع إلى خطب الرئيس الحالي والسابق يجد نفس الأسلوب الديني الاستعماري. إنه السم في العسل، فالشعوب لا تستطيع أن تحكم نفسها وتحتاج إلى قوى أخرى خارجية تحكمها وتعلمها وترفع مستواها وعقائدها الدينية، ثم ينسبون كل أفعالهم الاستعمارية إلى الرب!

إنه فكر الشعب الذي اختار الحرية شعارا له وتمثالا وسط المحيط كي يراه القادم إلى الولايات المتحدة، إنه الفكر التوراتي الذي زرعه الصهاينة أصحاب عقيدة شعب الله المختار، لقد رفع الأمريكان شعار: **يجب على العالم الأمريكي أن يكون رمزا لكل الجنس البشري.**

وباسم الحرية والمسيح، قتلت القوات الأمريكية المحتلة للفلبين كل مقاومة صادفتها، ففي تقرير كتبه أحد أعضاء الكونجرس بعد زيارة قام بها للفليبين، إن القوات الأمريكية اكتسحت كل أرض ظهرت عليها حركة مقاومة ولم تترك فلبينيا واحدا إلا قتلته، وكذلك لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأمريكي لأنه لم يتبق منهم أحد.[٢]
وكانت التعليمات الصادرة إلى الجنود: **لا تأسروا أحدا ولا تكتبوا سجلات**... أي القتل ثم القتل.
تلك هي الحرية التي جاء بها الأمريكان ومن قبلهم أسلافهم الاستعماريون السابقون عليهم، وأحفادهم الذين جاءوا من أصلابهم، وانظروا إلى حال الفليبين اليوم بعد الاحتلال نعرف ماذا قدم لهم المحتل صاحب رايات الحرية والديمقراطية فقد أصبح اسم الفليبين مرتبطا بالخدمة المنزلية في الدول الغنية العربية وغيرها، حين يقال **الفلبينيات** أي الشغالات!
ولم يلق الرئيس الاستعماري الأول للإمبراطورية الأمريكية **ويليام ماكينلي** إلا الاغتيال من أحد أبناء شعبه في ١٤ سبتمبر ١٩٠١م، ثم خلفه نائبه **تيودور روزفلت**[٣] الذي أكمل المسيرة الاستعمارية للإمبراطورية الجديدة.
وكان تيودور روزفلت أكثر تعقلا من سلفه في وقف المزيد من الاحتلال العسكري للجزر بعد أن ارتفعت نداءات المستعمرين الجدد باحتلال جزر «أندونيسيا»، وأما حمى الاحتلال فقد قرر رزوفلت عدم خوض تجربة الاحتلال العسكري لجزر أندونيسيا لأنها تختلف عن جزر هاواي والفليبين، فكلاهما جرز يدين أهلها بالكاثولوكية.
أما أندونسيا فهي دولة مسلمة، ومن ناحية أخرى فهي ليست جزيرة أو اثنتين أو ثلاثا وإنما هي آلاف الجزر.
وظلت الولايات الأمريكية تنظر إلى البر الآسيوي تنتظر الفرصة للانقضاض عليه، وتركزت في مياه المحيط قرب الجزر المقابلة للشوطئ الآسيوية بالأساطيل والطائرات والقواعد الحربية وكانت تلك هي نظرة الجنرال **دوجلاس ماك أرثر** القائد العام لقوات الحلفاء في آسيا.

تدخل أمريكا لإنهاء احتلال كوبا ودولة أمريكا الوسطى

بعد توقف تيودور روزفلت عن غزو جزر آسيا، والاكتفاء بالتواجد العسكري في مياه المحيط، توجه إلى الدول المجاورة له والتي تحتلها الإمبراطوريات الأخرى من دول أوربا مثل الإمبراطورية الإسبانية والبرتغالية، ورفع شعار مساندة الحرية.
وكانت «كوبا» تصارع من أجل إنهاء الاحتلال الإسباني لها، وتدخل الولايات المتحدة لصالح الكوبيين لنيل استقلالهم، وقام الأسطول الأمريكي بإنزال قواته إلى الجزيرة الكوبية كي تقاتل مع الثوار الكوبيين ضد جيش الاحتلال الإسباني، مع وعد من الرئيس الأمريكي بخروج قواته بعد تحقيق النصر على الإسبان.
وبعد انتصار قوات الثوار الكوبيين المدعمين من القوات الأمريكية ووقعت إسبانيا معاهدة اعتراف باستقلال كوبا وسحبت قواتها منها، لم تخرج القوات الأمريكية وبقيت بدعوى أن بقاءها ضروري لاستقرار الأمن وتحقيق الديمقراطية.
واستمر تيودور روزفلت يحقق سياسته في مناصرة الثورات الشعبية ضد المحتل الإسباني والبرتغالي في أمريكا اللاتينية في «بنما» وغيرها، واستولت على دول الإمبراطوريتين التي تم اكتشافها في القرون الوسطى بواسطة ملاحيها ومغامريها.
وأنكر تيودور روزفلت أنه يسعى لتكوين إمبراطورية أمريكية وقال: **إن البلد الذي قام على فضيلة الحرية، يصعب عليه أن يقع في خطيئة الإمبراطورية.**
كانت تلك أمريكا أو الإمبراطورية الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لقد كذب روزفلت الأول حين ادعى أن أمريكا لن تقع في خطيئة الإمبراطورية، ولم ينصرم القرن العشرين حتى أصبحت أمريكا إمبراطورية لا تختلف عن الإمبراطوريات السابقة إلا من حيث الشكل وإن كان الشكل أصبح قبيحا وأقبح مما كان عليه حال أي إمبراطورية أخرى وذلك مع مطلع القرن الحادي والعشرين.

الهوامش:
١. كانت الفلبين تحت الاحتلال الإسباني قبل الاحتلال الأمريكي.
٢. «الإمبراطورية الأمريكية»، ستانلي كارنوف.
٣. تيودور روزفلت هو ابن عم فرانكلين روزفلت، الرئيس الأمريكي أيضا الذي تولى الرئاسة أيام الحرب العالمية الثانية في الثلاثينيات من القرن العشرين.

المصدر: منصور عبدالحكيم، «من يحكم العالم سرّاً؟ أصابع خفية تقود العالم»، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.، بالتلخيص.

لماذا تحول العزوف عن الإنجاب إلى موضة؟

قد تعرفون أنتم على الأرجح أزواجا يقولون بحزم عندما يثار موضوع إنجاب الأطفال، إنهم قرروا ألا ينجبوا على الإطلاق. ويوردون أدلة مختلفة لقرارهم هذا. ويذهب البعض إلى أن إنجاب الأطفال هو عمل خير أخلاقي، لانه يتم إحضار إنسان اخر إلى هذه الحياة القذرة. والبعض الاخر يأتي بأدلة بيئية أو قضايا تتعلق بالصحة والسلامة، بيد أن علماء اجتماع بارعون يقولون أن أهم دليل على الأرجح يتمثل في نوع من التربية التي تدعو الأناس إلى الاهتمام الأكثر من اللازم بأنفسهم بدلا من استقبال الصعاب ومقاومتها.
وأورد موقع «ترجمان العلوم الانسانية» نقلا عن **فرانك فوردي** في«اسبايكد» قوله:
إن ثمة فارقا بين من يقرر عدم الإنجاب وبين من يتقبل هذه الفكرة من أن الأمومة والإنجاب، ينطويان بحد ذاتهما على إشكالية.
إن الأناس كانوا يقررون عادة حول الإنجاب وعدد أطفاهم. وكانت هكذا قضايا، قرارات شخصية، لا بيان حول الأهمية والمعنى الأخلاقي لإنجاب أطفال جدد.
لكن شريحة مهمة من المجتمع تقدم اليوم رؤيتها كنظرية سياسية حول قرارها بعدم الإنجاب. وقد حصل نوع من الإيديولوجية الطاردة للإنسان، تروج لمعاداة أولئك الذين يقررون الإنجاب، ويوجد بجانبها حرص متزايد على رسم صورة سلبية وقاتمة عن الأمومة.
ويتم الترويج للإيديولوجية المعادية للإنجاب والتناسل بطريقتين. إن هاتين الطريقتين مختلفتان عن إحداهما الاخرى، لكنهما مرتبطتان ببعضهما البعض في الأغلب. فاولا يتم الزعم أن الإنجاب وتنشئة الأولاد هي تجارب سلبية في الأساس يجب تحذير من يريد الإقدام عليها من الناحية الصحية.
وثانيا، يتم الاستدلال أن إنجاب الأطفال هو عمل غير مسؤول لأن الأطفال الجديد يشكلون تهديدا للبيئة.
وقد تركت هذه الإيديولوجيا بصماتها على ما يبدو:
إن الأرقام الجديدة المقلقة التي ينشرها مكتب الإحصاء الوطني البريطاني تظهر أن معدلات الإنجاب في بريطانيا وويلز وصلت إلى أدنى مستوياتها منذ عام ١٩٨٣م. وإلى الان. ففي عام ٢٠١٨م.، كان ١,١١ مولودا جديدا يبصر النور بإزاء كل ألف شخص، ليسجل ذلك رقما قياسيا لأدنى معدلات الإنجاب.

هل تُعد الأمومة أمرا طبيعيا؟

إن أحد السبل التي تستخدم اليوم لانتزاع الشرعية من المكانة الأخلاقية للأمومة، يتمثل في الفكرة القائلة بان انتظار المجتمع من المرأة لكي تحمل وتنجب، هو نوع من الفرض غير الطبيعي والقسري. إن هذه الرواية تلقي بظلال من الشك على ما يسمى أحيانا «اضطرار الأمومة»،[١] وتعلن بان الأمومة لا تعد دورا طبيعيا بالنسبة للمرأة. وتقول تيريز شكتر في نص كتبته حول فيلمها المسمى «ما يسمى حياتي الأنانية»[٢] إنها كانت حريصة على كتابة الأحداث حول **التزايد المطرد لعدد غفير من النساء اللواتي لا يردن الإنجاب ولا يقبلن بشعار أن الأمومة تعد أهم دور (واكثره طبيعية) للمرأة.** فيلم **شكتر** «كاسر التابوهات» هو ضد «الاضطرار للأمومة». إن هذا الفيلم هو صوت الفئة التي تتحدى أهم فكراتنا حول هوية المرأة، بما في ذلك طالبة تبلغ من العمر ١٩ عاما وهي عازمة على إغلاق أنابيبها، المرأة التي «تبوح» بأسفها لتحولها إلى أم، مؤسسو جمعا من الطاعنين في السن من الأقليات الجنسية،

وفاعل لحقوق التناسل إذ أن العلاجات الفاشلة للإنجاب أسفرت عن حصول تحول في حياتها.

وتقول شكتر إن هدفها هو تحدي الدنيا التي: **ترتبط فيها الأمومة بإنجاب الأطفال.** إن فيلمها هو عبارة عن استنتاج النقاط المفتاحية التي يثيرها النشطاء المعارضون للتناسل. ويقول هذا الفيلم إن الأمومة لا علاقة لها بشكل يذكر بهوية المرأة، والسند لهذا الزعم هو شيوع الأسف من أن تصبح المرأة، أما. وفي النهاية يلوح بتفوق المجتمعات التي تفتقد إلى الأطفال.

إن الرواية المناهضة للإنجاب والتناسل تريد القول أن الأمومة هي فخ غير مرغوب فيه. وفي السنوات الأخيرة، كان هناك العديد من المفسرين ممن لجأوا إلى عبارة «أسف الأمومة»[٣] ليثيروا هذه الفكرة من أن العديد من الأمهات يتظاهرن بانهن راضين عن حياتهن، لكنهن يتأسفن في الخفاء من إنجاب الأطفال.

ويقول مقال **كندي** عنوانه «آسف لامتلاكي طفلا» إن هذا الشعور يصبح أكثر شيوعا وانتشارا يوما بعد اخر. ويلفت المقال اهتمام المتلقي إلى مجموعة من ٩ الاف شخص على «الفيسبوك» تحمل العنوان ذاته آسف لامتلاكي طفلا. ويعرب كاتب المقال عن سعادته لكسر تابو «تأسف الأب والأم» في النهاية. وأخيرا فان الجميع بدء من «بي بي سي» (١٠٠ إمرأة ٢٠١٦م.: الأبوان المتأسفان من امتلاك أطفال) مرورا **بمري كلر** (داخل الحركة المتنامية للنساء اللواتي يأملن ألا يكونوا رزقن باطفال البتة) وصولا **بتوديز برنت** (الأسف من الأمومة: ماذا فعلت بحياتي؟) أظهروا هذا التابو أمام أعين الجميع.

ويُصر البعض على أن تأسف الأمومة ربما هو أكثر شيوعا مما نظن. ويقول هؤلاء إن الكثير من النساء، يعانين في صمت من هذا الألم ويشعرن أنهن غير قادرات على البوح لاحد بالخطأ الفادح الذي ارتكبنه. وكان العنوان العريض لمقال اعتراف في الديلي تليغراف بقلم مؤلف مجهول هو: **أتمنى في الخفاء ألا أكون رزقت بطفل البتة.**

وهذا مصداق عادي من ذلك المسار. ويقول المؤلف أنه غير راض عن الورطة التي وقع فيها، ويتحدث عن تلك الأوقات: **التي يهمس فيها صوت في مخي إنه إن لم أكن أملك طفلا، لكنت أعيش حياتي المثالية.** ويضيف: **وبسبب هذا السر الذي أحمله في صدري، أشعر باني وحيد للغاية.** ومجرد أنه يستخدم كلمة «السر» فانه يريد بلا شك القول أن أسف الأمومة أكثر شيوعا من أن نتصوره. كما أن استخدام هذه المفردة يعد نوعا من التحفيز أيضا لكي يشجع المزيد من النساء على إشراك قصتهن مع الاخرين. ولهذا السبب، فقد أورد المحررون في نهاية مقال الديلي تليغراف هذه العبارة: **هل تتأسف من امتلاكك طفلا؟ وهل أنت جاهز للاعتراف بذلك؟ انضم إلينا في الحوارات في مجموعة فيسبوك تليغراف.**

لكن إن كان أسف الأمومة سرا في الحقيقة، فانه سر بات مكشوفا للغاية. وقد ساد أرجاء العالم اليوم، موضوع أسف الأمومة. ففي عام ٢٠٠٩م.، نشرت عالمة التحليل النفسي الفرنسية كورين ميير كتابها الأكثر مبيعا بعنوان «بلا طفل: ٤٠ دليلا جيدا لعدم تحول المرأة إلى أم».[٤] وفي عام ٢٠١٦م.، وضعت بي بي سي ميير على قائمة النساء الـ١٠٠ الأكثر استلهاما في العالم. وكانت «ألمانيا» تستقبل بشكل خاص، مسألة أسف الأمومة.

ويقدم كتاب **سارة فيشر** بعنوان «كذبة ابتهاج الأمومة»[٥] رواية مريعة عن ذلك الفزع الذي يحصل كما تقول في ظاهرة الأمومة. وقد وضع كتاب «الإطاحة بالأم»[٦] بقلم **ألينا برونسكي و دنير ويلك** في ألمانيا ضد تلك المثالية التقليدية عن الأمومة. ولكون أن هاشتاغ «#RegrettingMotherhood» (أسف الأمومة) أصبح ترندا في ألمانيا عام ٢٠١٧م.، يشير إلى أن هذا الهاجس بات حديث شرائح من المجتمع الألماني.

وفي بعض الحالات، ليس يعتبر منتقدو «تطبيع» الأمومة بانهم يفشون سرا قذرا فحسب بل يذهبون إلى أبعد من ذلك ويسعون سعيا حثيثا لمساعدة الأمهات للابتعداد عن قرارهن. وتقول أورنا دونات، مؤلفة كتاب «أسف الأمومة»[٧] (٢٠١٥م.) إن هدف كتابها هو مساعدة الأمهات اللواتي **يأملن بان تزول الأمومة إلى الأبد.**

لذلك نصل إلى هذه المحصلة في النهاية وهي أن عامة وجهات النظر المثارة حول أسف الأمومة لا تبحث عن وصف هذا الظاهرة البحتة، بل بصدد اعتبارها قاعدة سائدة. ومن وجهة نظر هؤلاء المراقبين، فان القاعدة الجديدة هي ارتباط الأمومة بالأسف، لا ارتباط الأمومة بالشعور الإيجابي.

الجفاء من أن يصبح الرجل أبا

لقد ارتبطت قاعدة أسف الأمومة بمسار أوسع يعتبر الولادة وتنشئة الأبناء، ضربا من العمل الشاق، الأفضل أن يتم تحاشيه. أي أن مبدأ هذه الفكرة من أن الكبار هم المسؤولون عن الأجيال الصاعدة، أصبحت عرفا انتهت صلاحيته، ويتعارض مع أسلوب حياة الأشخاص الناجحين.

إن العزوف عن الرغبة بان يتحول الرجل أبا، بات رغبة تقع مسؤوليتها على كاهل الصعوبات المالية. ويقولون في «اسبانيا» و«إيطاليا» إن الظاهرة التي يطلق عليها «متلازمة المهد الفارغ» هي بسبب الالتزامات المالية والزمنية التي يتسبب بها إنجاب الأطفال. لكن هذا البيان، غير وجيه، فان الغربة والجفاء اليوم مع التوالد والتناسل في الكثير من مناطق العالم، أصبح جادا بين الشرائح الغنية والمرفهة بقدر ما هو سائد بين الشرائح الأقل ثراء.

وفي كوريا الجنوبية حيث تملك أدنى نسبة من الإنجاب بين الدول الأعضاء بمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية في منطقة اسيا والمحيط الهادي، يرتفع صوت حركة «#NoMarriage» (لا للزواج). إن شبكة جديدة تدعى «أية إم أي إف» (النخبة العازبون، أمضي قدما إلى الأمام)،[٨] هي انعكاس لهذا الشعور. ولا عجب أنه يُتوقع إن يبلغ عدد الموتى في كوريا الجنوبية هذا العام أكثر من عدد المواليد.

وفي «الصين»، فان الأزواج الذين يقررون عدم الإنجاب، يسمون «دينك»: «عائدان من دون طفل».[٩] وذكر أن عدد الأزواج الذين يؤمنون بان الأطفال قيدوا أسلوب حياتهم، في تزايد وتنام في الصين. إن مفردة عدم المشاعر، باتت رديفا لآفاق غياب الأطفال.

وطوال التاريخ، كان يُتوقع من المرأة أن تتقبل الأمومة وأن تنجب طفلا إن تقدمت في السن. وهذا التوقع مازال قائما. لكن اليوم دخلت النظرة السلبية تجاه الأمومة معترك الحياة، وتقول إن إنجاب الأطفال، يثبط طموح المرأة ويقلص من جودة حياتها.

وغالبا ما يُقال أن تشوق المرأة للمزيد من الاستقلال هو وراء جفاء مجتمع القرن الواحد والعشرين مع الإنجاب. ويربطون أحيانا تنامي روحية مناهضة الإنجاب مع نفوذ الفيمينية. إن هذه الحالات ربما اضطلعت بدور في نشأة الحالة المناهضة للإنجاب، لكن ثمة أسباب قوية أخرى.

والحدث المهم الاخر هو أن النظرة إلى الأبعاد المختلفة لوجود الانسان، تتم عبر نافذة الأمراض المتفشية. خاصة أنه يتم ممارسة ضرب من الاجتماعية على الشبان، تشجعهم على أن ينظروا إلى المشاكل والقضايا القائمة (الوجع والإحباط والضغط والتوترات النفسية) عبر نافذة علم النفس. لقد ترعرعوا وتلقوا التعليم بطريقة لكي يكونوا في مأمن من الضغوطات أو التحارب المثيرة للتحديات أو المزعجة. إن الطريقة الحالية للاجتماعية تشجع الشبان على أن يكونوا «حذرين من تعرضهم للضرر» بدلا من تنشئة طاقات الأطفال في نيل الاستقلالية.

وفي هكذا ظروف، فان اهتمام الشبان ينصب على أشياء أخرى بدلا من التشوق للنمو وتقبل مسؤولية دور الكبار وتقبل الواجب والمسؤولية.

ويشكل هذا أحد اسباب إدعاء النساء (والرجال) الشبان في عقد العشرينيات ممن يزعمون أنهم لا يريدون إنجاب أطفال. وبالتحديد إطلاقا. وبلا شك فان بعض هؤلاء الشبان، يغيرون في فترة من الزمن، وجهة نظرهم ويقررون أن ينجبوا طفلا. لكن الأسلوب الموثوق به والحاسم الذي يعبرون من خلاله عن ميولهم المناهضة للتناسل، يشير إلى أنهم يؤمنون حاليا أن تجنب ضغوط أن يصبحوا أبا وأما، هو معقول ومنطقي بالكامل.

الحركة المناهضة للإنسانية ضد التناسل

وثمة عقيدة مناهضة للانسانية تحاول إضفاء الصدقية على جفاء بعض شرائح المجتمع الغربي مع الأمومة: وهذه العقيدة، تعتبر البشرية سبب مشاكل الدنيا لا وسيلة لمعالجتها.

وفي العقود الأخيرة فان جزء رئيسيا من حركة البيئة اتجهت نحو اعتماد شعارات أكثر تطرفا وطاردة للانسان. ويقول بعضهم إن البشرية هي نوع من السرطان الذي يفتك بالبيئة. إن أنصار مدرسة البيئة المعمقة[١٠] يزعمون أن البشرية أدت من خلال الإيديولوجية الموالية للانسان والتي تعتبر الطبيعة مصدرا للفائدة للانسان، أدت إلى ضياع كوكبنا. إن الأناس يتم رسمهم في الغالب كطفيليين، وهذا لا يقتصر على الأشخاص المتطرفين والهامشيين.

وكان **مايكل ميتشر** الوزير السابق في حكومة العمال قد قال: **إن البشرية هي نوع من «الفيروسات» تصيب جسد الأرض وتمرضه.** ويقول **جيمز لافلاك** مبدع «فرضية غايا»:[١١]

إن البشرية تتصرف في بعض الحالات، كالكائنات الدقيقة الممرضة أو خلايا ورم ما أو غدة. ويضيف لافلاك: **إن أعدادنا قد تزايدت** وأن **جنس الانسان قد تزايد في الوقت الحاضر بحيث تحول إلى إزعاج جاد لكوكبنا.** ويستنتج أن **غايا يعاني من طاعون البشر.**

وفي الغرب فان لوبيات تحديد النسل منهمكة في نقد أولئك الذين يملكون أسرا كبيرة، بحيث ينعتونها بـ«عدم تحمل المسؤولية حيال البيئة». ومع إنجاب الأطفال خاصة إن كان عدد الأطفال كثيرا، فانه يتم التعامل مع الأمر وكأنه جريمة مناخية. وقد أعلن **الأمير هاري** في تلك النسخة من مجلة «فوغ» التي تتولى زوجته **ميغان ميركل** مسؤولية تحريرها هذا الاسبوع هذه الفكرة ووعد بان ينجب طفلين فقط تحت راية الثبات المناخي.

ومن وجهة النظر هذه، فان إنسانا واحدا زائد، يعني عالما من المزيد من نشر الكاربون. ولذلك يبدو أن من الأفضل ألا يبصر هؤلاء الأناس الزائدون النور. وحسبما يقول تراست، فان «السكان الأمثل»[١٢] (والذي غير اسمها إلى «السكان، مهمون») فان: **إنسانا واحدا غير موجود، لا يترك أي موطئ قدم في البيئة؛ إن تقشفه في نشر الكاربون، عاجل وكامل.**

والان نواجه فاعلين في مجال التغيرات المناخية ممن أوجدوا حركة **بيرث ستريك.**[١٣] لقد قرر هؤلاء العزوف عن الإنجاب **بسبب استفحال الأزمة المناخية وعدم تصرف القوى الحاكمة في مواجهة هذا التهديد الوجودي.** ويقوم الموقع الالكتروني لهذه الحركة بنشر البيانات الشخصية التي تصدر من جانب الأناس الذين يظنون إن من الخطأ إنجاب أطفال. وتقول ألتا البالغة من العمر ٣٩ عاما:

إن أولوية زوجي وأنا هي تحاشي إنجاب طفل اخر في الظروف المستقبلية التي لا تطاق من قبيل موجات الاحترار والجفاف، لا سيما وأننا نشاهد أن الأطفال يفقدون أرواحهم هذه السنة في الهند وباكستان بسبب موجات الحرّ.

ويؤيد المشاهير في الوقت الحاضر فكرة أن إنجاب الأطفال هو ضرب من الجريمة ضد البيئة. ويقول **مايلي سايروس** إن جيل الألفية **لا يريد التناسل، لاننا نعرف أن الأرض لا تطيق هذا الحمل.**

وتُبرز حركة بيرث ستريك، مظهرا أكثر تطرفا وحزنا لهذه الثقافة المعادية للانسان والتي تدور حول مدار السلبية والتشاؤم. إن ما يوصلها إلى هذا الاستنتاج من أنه إن تخلى الناس على الإنجاب، فان الدنيا ستكون أفضل، إن تعلقاتهم غير موجهة إلى البيئة فقط، بل أن نزعتهم الطاردة للانسان تضطلع بدور في هذا المجال. وفي رؤيتهم، فان الأطفال يلوثون الكوكب. إن هذه الرؤية تتسق بالضبط مع ذلك الشعور الذي يذهب إلى أن تحول الأناس إلى أبوين، يعد هدفا غير مرجو و«مثير للمشاكل». وحتى الآونة الأخيرة، كان الأطفال يعتبرون رحمة من الله وبركة الحياة. والان ثمة أشخاص كثر يقولون إن عدم امتلاك طفل، هو لطف وبركة. وفي النهاية، فان سبب غياب الإيمان هذا في روح البشرية، ليس اقتصاديا ولا بيئيا. بل أن القوة الدافعة لهذه الحركة المناهضة للتناسل والتوالد، هي أن هذه الشرائح المجتمعية، تجد صعوبة فائقة في إيجاد معنى ومغزى للحياة. إن إعادة ثقتنا بروح البشرية والفضائل البشرية القديمة، يشكل أفضل ترياق لهذه الدورة المناهضة للإنجاب والتوالد.

الهوامش:

* وقد كتب هذا الموضوع فرانك فوردي ونشره في موقع اسبايكد في ٩ أغسطس ٢٠١٩م. بعنوان «The turn against motherhood». ونشره موقع «ترجمان» في ١٣ أكتوبر ٢٠١٩م. تحت عنوان «لماذا تحول العزوف عن الإنجاب إلى موضة؟».

إن فرانك فوردي (Frank Furedi) هو أستاذ متقاعد في علم الاجتماع من جامعة كينت. وقد تحصل اشتهاره على خلفية البحوث والدراسات التي أجراها حول علم اجتماع الخوف والتعليم والإنجاب. ويعد «سياسة الخوف» (Politics of Fear) و «كيف يعمل الخوف» (How Fear Works) من تأليفاته. وقام موقع ترجمان لحد الان بترجمة ونشر عدة مقالات لفرانك فوردي بما فيها «التاريخ الخفي لسياسات الهوية» و «بلهاء الكتاب المفتوح». كما قامت دار ترجمان لنشر العلوم الانسانية بترجمة ونشر أحد كتب فوردي بعنوان «قدرة القراءة؛ من سقراط إلى تويتر».

1. maternal inevitability
2. My So-Called Selfish Life

3. maternal regret
4. No Kids: 40 Good Reasons Not to Be a Mother
5. The Lie of Maternal Happiness
6. The Abolishment of Mother
7. Regretting Motherhood
8. Elite Without Marriage, I Am Going Forward
9. Double Income, No Kids

١٠. Deep Ecology: وهي فلسفة بيئية تقول بان الكائنات الحية، بمعزل عن كونها مفيدة للانسان أم لا، تنطوي على قيمة ذاتية. (المترجم)

١١. Gaia hypothesis: وتزعم هذه الفرضية أن كوكب الأرض يشبه الكائن الحي الذي يملك حياة. (المترجم)

12. Optimum Population Trust

١٣. BirthStrike: ويعني الإضراب عن الولادة أو التوليد. (المترجم)

المصدر: وكالة الأنباء الطلابية الإيرانية (إيسنا)

الإنحراف الأول في الديانة المسيحية الناشئة

بولس الرسول

إن إرسال الرسل والأنبياء، يعود إلى موضوع إكمال الدين من جهة، وبروز الإنحراف لدى الأمم وتحريف الأديان من جهة أخرى، وعلى غرار الديانة الموسوية وإنحراف بني اسرائيل، فالمؤسف أن المسيحية أصيبت بالإنحراف في أدنى فترة زمنية، بعد صعود النبي **عيسى**عليه السلام وحتى قبل انقضاء عصر الرسل (الحواريون الخاصون). وإستنادا إلى المصادر التاريخية، فان أهم منعطف في المسيحية، حصل بعد إيفاد الحواريين إلى أقاصي مناطق «فلسطين» و «سورية» ومع انضمام **بولس**[١] للحواريين. ويقول الاستاذ **جلال الدين اشيتاني** بهذا الخصوص:

وكان «ساولوس» اليهودي [بولس] مواطنا رومانيا، ومن أبناء مدينة «طرسوس» باسيا الصغرى. ويكلف بداية بإيذاء وقتل المسيحيين، لكن يظهر عليه نور وهو في طريقه إلى «دمشق» وينطلق من النور صوت يقول: «يا ساولوس، لم تجفي علي؟»، ويسأل: «أيها الرب من أنت؟» ويأتي الجواب: «أنا عيسى، ذلك الشخص الذي تمارس الجفاء ضده، لكن انهض واذهب إلى المدينة وسيقال لك هناك ماذا يجب أن تفعل.» ومذاك، حول ساولوس إسمه إلى «باولوس» وأصبح رسولا مقربا من عيسىعليه السلام.[٢]

وليس واضحا، كيف أن يهوديا يؤمن بيهوه كرب وحيد في العالم، يخاطب صوتا غريبا يزعم أن باولوس يجفي عليه، وينادي أيها الرب.[٣]

إن تحديد هذا المنعطف الذي مرت به المسيحية، هو بمثابة تحديد لزاوية الميلان التي اتسعت أكثر فاكثر مع الوقت، ومهدت السبيل للإنشقاقات والخلافات اللاحقة. ويمكن القول بصراحة: **أنه من غير الممكن تحديد الأوضاع الثقافية والحضارية الحالية في العالم الحديث من دون تحديد التطورات التي حلت بالتيار الثقافي والإجتماعي للمسيحية لاسيما ما حصل مع بولس. ومع اعتناق جمع من اليهود، للديانة الجديدة، زاد غضب وسخط الفريسيين الذين كانوا يحكمون الهيكل. وقام هؤلاء بطرد أتباع المسيح ممن كانوا يهودا في الأصل، من الهيكل، لكن أتباع المسيح، اتخذوا من بعض منازلهم التي كانت كبيرة، موقعا لإجتماعاتهم، وجهزوا أنفسهم لتوزيع الطعام والمأكولات وإسداء الخدمات لبعضهم البعض بصورة منتظمة، وبدأت الجموع تتقبل قيادة تلامذة المسيح.**[٤]

إن حقد كهنة معبد (الفريسيين) تجاه أتباع الديانة المسيحية الجديدة، مهد لهجمات اتسمت بالعنف ضد المسيحيين الأوائل ونفوذ بالوس (بولس) بينهم.

وفي تلك الظروف التاريخية، رأت المسيحية الناشئة أنها أمام ثلاثة تحديات في ثلاثة مجالات هي **الهوية الدينية** و**الرؤية الفلسفية** و**الأداء السياسي**. وفي ذلك العصر، كانت تشاهد ثلاثة تيارات مهمة بجلاء وكانت حصيلة الغلبة الدينية اليهودية والغلبة السياسية الرومانية

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

والغلبة الفلسفية اليونانية، ونتيجة هذه التحديات، تقبلت المسيحية الناشئة هوية مستقلة عن اليهود، وأنقذت نفسها من «الفريسيين» واقتبست الفكر الفلسفي لتمهد لولادة «المسيحية الفلسفية والأفلاطونية الجديدة» وانخرطت في مواجهة مع الإمبراطورية الرومانية في ظل الحكم الذاتي السياسي وقبول **الشهادة**. ورغم ذلك:

فقد حصلت التحريفات الأولية في الديانة المسيحية على يد رجل من اليهود المتعنتين، إذ مارس رغم إعلانه أنه مسيحي، الحد الأقصى من الأذى ضد المسيحيين. إنه لم يكن سوى بولس أو شاول اليهودي، إذ يقول المسيحيون أنفسهم بشأنه:

وكان شاول يعيش في مدينة «طرسوس»، وكان أبوه من اليهود الملتزمين بالتقاليد والعادات والطقوس اليهودية، وأمه من الشخصيات المميزة وأنجز أعمالا ملفتة.

لذلك، كانت الدولة الرومانية تدعمه من خلال المكافآت المعنوية.[٥]

وقال **مايكل هارت** العالم والمؤرخ الامريكي في كتابه بعنوان «الخالدون المئة» بعام ١٩٧٨:

ويجب القول أن مؤسس المسيحية، لم يكن شخصا واحدا، بل أن ذلك حصل على يد شخصين. «المسيح» و «بولس»، ولذلك، يجب تقسيم فخر ذلك بين هذين الإثنين. وبناء على ذلك، فان المسيح عليه السلام كان مؤسسا للمبادئ الأخلاقية للمسيحية، لكن أصولها اللاهوتية وضعت على يد بولس. لذلك، فان المسيحية لم تبشر باي من الحالات التي عرضها بولس، بل أن بولس كان أول من نادي المسيح بانه الله.[٦]

ويقول **غوستاف لوبون** الفرنسي:

إن بولس أسس ديننا باسم عيسى، في حين أن كان عيسى نفسه على قيد الحياة، لما كان يدرك شيئا من هذا الدين، وإن كان قيل للحواريين الإثني عشر بان الله قد تجسد في عيسى، لما كانوا يحتملون هذه الفضيحة، وكانت تتعالى إحتجاجاتهم.[٧]

وقد مهد **بولس** لتأسيس دين جديد ومنفصل عن ديانة اليهود. وبينما كان يُعد جميع التلامذة والحواريين الذين اختارهم المسيح عليه السلام قبل صعوده إلى السماء، لنشر تعاليمه، لم يكن هو قد رأي المسيح في حياة السيد المسيح عليه السلام نفسه.

ويقول الدكتور **روبرت تسلر**:[٨]

لكن ما يزيل فرحتنا تجاهه، هو أنه لم يقر ولم يعترف بهذه الصفات بواسطة الأسلوب الشائع جدا في المسيحية، وهذا يؤدي إلى تراجع مكانته النظرية ... لكن ما يبعدنا عن بولس وحتى يؤدي إلى توجيه النعوت إليه هو الأعمال التي شاهدها عنه، منافسوه المعاصرون؛ مثلما تفهم هذه الحقيقة من بحوثه الساخنة الموجودة في رسائله، على سبيل المثال، إدعاء العصمة وإبراز ذاته، وقلة صبره، وميله إلى الثأر، وإيذاء معارضيه وحب الهيمنة، إذ أن هذا الحب لم يكن من النوع الذي يضع الأفكار الدينية في خدمة هذه الصفات، بل كان على عكسه وبما يتناقض معه. وكانت هذه الصفات تستحوذ على الأفكار الدينية لبولس.

وعلى أي حال فان هذا التشابك، يظهر القاعدة التي تقول: إن بولس اعتبر التعاليم المسيحية، بانها التعاليم الحقيقية، وأن التعاليم المسيحية كانت تعاليم بولس من دون أي اختلاف، وأن هذه التعاليم قد أوحيت إليه.[٩] **لذلك فان امر بولس هو أمر الله، وهذا مستمر حتى يومنا هذا، وإن بشر ملك بإنجيل آخر (غير إنجليه) فانه ملعون**[١٠] **وبناء على ذلك فان الفلاح الأبدي هو لتلك الفئة التي تستند إلى تعاليم بولس حرفيا.**[١١]

ويقول **ويل ديورانت** حول **بولس:**

إن الإحتمال الأرجح هو أن إسم بولس هو المفردة اليونانية المترادفة لإسم شاول... ويحق لنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية[١٢] **انتقلت من البيئات التعليمية في مدينة «طرسوس» إلى مسيحية بولس، وهذا النوع من الأديان، هو من الديانات السرية التي وفرتها اليونان لاستقبال «بولس» وبولس بطلب من اليونان... وبلغ علمه درجة أن اليهود الذي قدموا للعالم أكبر العلماء، أطلقوا اسم جمال قاموس (سيماء الشريعة) عليه وأعطوه لقبا لم يمنحوه إلا لستة من الرجال من بعده وهذا اللقب هو «الربان» أي سيدنا. وقد تعلم بولس من استاذه «غمالائيل» واخرين، البرهان العقلي والجدلي والسوفسطائي في تفسير الكتاب المقدس، لكنه بقي لاخر العمر في الفكر والأخلاق اليهودية... وكانت عقلانيته تشبه كثيرا الأسلوب الرائج والمعمول به بين اليهود وكان يؤمن بانه يوحى إليه وقادر على الإتيان بمعجزة ويمتلك القدرات الذاتية التي تؤهله للقيام بذلك. وقادر على العمل والنظام كثيرا ويتمتع بالحد الأقصى من الصبر في تشكيل القبيلة المسيحية والحفاظ عليها. وكانت عيوبه وفضائله قد امتزجت ببعضها البعض بقوة، بحيث أن أيا منها لم يكن ليستغني عن الاخر. وكان في الحكم، شجاعا وقاطعا ومستبدا ولاذعا، وفي الغضب، متعنتا وحداثيا وعنيفا [وفي الوقت ذاته] قادرا على درك ألطف مشاعر الود والعطف وكان يوصي أتباعه، أن يغدقوا بالبركة على الذين يظلمونهم، لكنه كان باتا وحازما مع الأعداء الذين يخوننه.**[١٣]

وكان يملك الجرأة على العمل لعقد مصالحة بين المسيحية وفلسفة «اليونان»... ومن ثم أعلن بولس أنه لن ينقذ الناس من تمسكهم بشريعة موسى، لان إيمانهم القوي والفاعل سيكون بـ«المسيح المخلص» إبن الله ومنقذهم... وقد أسس بولس لاهوتا، لا توجد عنه سوى وثائق معقدة للغاية عن كلمات المسيح، وربما ممتزجة في المادة والجسم، بخليط من الفلسفة الأفلاطونية والرواقية باعتبار الشر والخبث، وربما يكون قد ذكر بالتقاليد اليهودية وعبادة الأوثان وتقليد تقديم القرابين للتغطية على ذنوب الناس... وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت أساس بعض الأفكار والنظريات الصوفية المعقدة ... بما في ذلك يمكن الإشارة إلى كلام بولس حول كون عيسى حكمة الله والابن الأول لله... واستطاع بولس بكل هذه التفاسير أن يغض النظر عن الحياة الحقيقية للمسيح وكلامه الذي لم يسمعه عنه بصورة مباشرة، كما استطاع أن يضع نفسه بهذه الطريقة امام الأنبياء الأولين الذين لم يشاطرونه الرأي في النظريات الميتافيزيقية... ورغم كل ذلك، فان الرجل الذي فصل المسيحية من ناحية الذات والأساس عن اليهودية، بقي يهوديا في قوة الأخلاق وقوة المبادئ.[١٤]

وكانت هذه خلاصة عن التعرف على شخصية بولس مؤسس المسيحية الجديدة عن طريق تقديمه و «إنجيله» المعروف بـ«أعمال الرسل» وكذلك كتابات بعض المفكرين الغربيين. إن هذه الموضوعات توضح لنا جليا بان بولس حول الديانة المسيحية إلى دين جديد عبارة عن خليط من العقائد الفلسفية المتأثرة بأفكار الفلاسفة اليونانيين، بمن فيهم أفلاطون والفلاسة الاخرين المتأثرين باللاهوت الفلسفي. إن هذه العقائد والفلسفات تركت أكثر الأثر الممكن على الحياة المستقبلية لبولس، مثلما أنه شهد على هذه الحقيقة كما أتى على ذكرها علماء وكبار الديانة المسيحية.[١٥]

وقد وضع ونشر الباحثون المسيحيون الغربيون رسائل كثيرة حول التحريفات التي دخلت المسيحية عن طريق **بولس**. وكان هو أول شخص أضفى على المسيح عليه السلام مقام الألوهية. ويقول في رسالته إلى «افسيان»:

نعمة وسلام اللّه، الأب والرب عيسى المسيح عليك. مبارك الرب. أب ربنا عيسى المسيح.[١٦]

إن أحد أكبر المزاعم غير المقبولة لبولس، هو تسلمه «الإنجيل» مباشرة من عيسى المسيح عليه السلام وحذف جميع الأناجيل السابقة. وزعم أنه يسير نحو الكمال من خلال التخلص من الكلمات البدائية للمسيح. ويسعى لإقناع الاخرين لقبول الإنجيل الذي يصبو إليه:

إن التوصية السابقة وبسبب الضعف الكامن فيها، وكونها غير مجدية، تسير على طريق الإلغاء، لان جبرئيل لا يكمل شيئا، وان جعل الناس يعيشون في أمل، هو أفضل وارفع.[١٧]

ويقول **يوسف رشاد** حول التناقضات السائدة بين أقوال النبي عيسى عليه السلام وبولس:

وعلى الرغم من أن بولس احتل موقعا رفيعا في الديانة المسيحية، وسجل انتصارات باهرة في فرض تعاليمه وأقواله على تعالم واقوال عيسى المسيح عليه السلام، لكن الكثير من المتكلمين والمفكرين المسيحيين، عندما استفادوا من عقولهم في دراسة نصوص ورسائل بولس، شاهدوا فيها اختلافا صارخا مع تعاليم وأقوال عيسى عليه السلام وحتى أنهم وجدوها في تناقض تام مع أقوال عيسى عليه السلام ودين بغير الذين الذي جاء به المسيح عليه السلام، لذلك سلطوا الضوء عليها وأبرزوا أخطاء وتعاليم بولس.[١٨]

ويقول **باول هيرلين** وهو من رجال الدين اليهود:

إن تعاليم بولس الشريرة كانت خارج نطاق المسيحية، وأسوأها ربط موت عيسى بالرحمة والغفران الالهيين نسبة إلى البشرية المذنبة. وكم هو على علم واطلاع باصل «الإنجيل»؟؟! ويدعو الناس إلى رحمة الله ولطفه القسري، في حين أن هذا لا علاقة له بظروف تحصيل هذا اللطف ولا بتلك الرحمة، لان الرحمة واللطف القسريين، لا يمكن أن يجتمعا معا، كما نشاهد بان دخول الشيطان في العلاقة بين الله والانسان، يحتل موقعا خاصا في تعاليم بولس حول النجاة والفلاح وينسبها إلى آدم مرة وإلى حقيقة الشريعة اليهودية مرة أخرى. إن أفكار بولس بشان موت عيسى، هي بإزاء الصفح عن ذنوب الناس، تشبه صفع وجهه ببشرى الإنجيل، لانه وعلى الرغم من أن انجيل المسيح ينطوي على النجاة لكن لا علاقة بينه وبين هذا النجاة من الذنوب التي يفهمها بولس، وكل من يحمل هذا الإنطباع عن النجاة الذي يقوم به عيسى، فانه يكون قد ابتعد كل البعد عن رسالته.[١٩]

ويقول **أدولف هارنك** وهو من اللاهوتيين المسيحيين:

إن ديانة بولس لا تناسق بينها وبين الإنجيل الأصلي بتاتا.[٢٠]

وفي معرض نقده لبولس، يعتبر **هاوزارت** بروفسور في اللاهوت المسيحي، أن الأخلاق لدى بولس هي أدنى من مستوى الشريعة المعروفة ويقول:

وإن كان بولس يبشر حقيقة بتعالم المسيح، لكان عليه أن يضع ملكوت الله في مركز بشارته، لكنه يستخدم الديانة كخروف للقربان. وينص رأيه على أن الله يزيد من شريعته لزيادة ذنب من ذنوب البشرية، وأن ما قدره الله بالعدل لعيسى، لا قيمة له لدى بولس الذي لديه الأخلاق أدنى من مستوى الشريعة، ناهيك عن كونه كما عيسى بصدد استكمالها. وسبب ذلك يعود إلى أن بولس كان يكره في الحقيقة كل نوع ذاتي، والأسوأ من كل ذلك هو أنه عندما صدق الناس تعاليم بولس، كان عيسى المسيح يفعل كل شئ من أجلنا.[٢١]

لكن ثمة علماء من بين رجال الدين المعروفين، ممن يتهمون بولس بتحريف وتغيير ديانة النبي عيسى عليه السلام، ويردون كل السيئات إليه، بما في ذلك:

ويقول **يواخيم كال:**

إن جذور جميع السوء في المسيحية تعود إلى بولس.

ويقول **يوحنّا ليمن:**

إن بولس قلب تعاليم عيسى رأسا على عقب.[٢٢]

ويقول القس البروتستانتي **كورت مارتي:**

إن بولس غير مجمل رسالة عيسى.[٢٣]

ويقول بروفسور اللاهوت، **فرانست فن أوفريك:**

إن جميع الجوانب الجيدة في المسيحية، تعود إلى عيسى لكن جميع الجوانب السيئة فيها، تعود إلى بولس.[٢٤]

ويدحض البروفسور **روبرت تسلر**، من الأساس جميع التعاليم الدينية للمسيحية البولسية ويقول:

ومنذ ٢٠٠٠ عام من قبل، كان المسيحيون يؤمنون أن دينهم، هو دين عيسى، لكنه دين مختلف عنه تماما وهو دين بولس الذي لم يتخل أبدا عن مناصبة عيسى العداء، وهذه حقيقة يؤكدها جميع العلماء الدينيين المسيحيين ذائعي الصيت.[٢٥]

ويقول البرفيسور **ليونارد رجاس:**

إن رجال الدين المعتدلين، لا يدركون كلام بولس في الإنجيل، والعكس بالعكس صحيح طبعا.

إنه الشخص الذي ينسب ردة الكنيسة عن الإنجيل الحقيقي لعيسى عليه السلام إلى بولس. لذلك نشاهد أنه يقول فيما يخص «موعظة الجبل» التي هي مؤشر على قلب رسالة عيسى عليه السلام بانها لم تكن تحظى بأهمية تذكر لدى بولس، وحتى أنه يذهب إلى أبعد من ذلك وينقضها في رسالته الى الرومان.[٢٦]

لكن المؤلف الكاثوليكي **الفونس روزنبرغ** يتطرق إلى مسألة بولس ويخصص فصلا منفصلا له بعنوان «من يطرد بولس من الكتاب المقدس؟»

ويقول في هذا الفصل:

وبذلك فان مسيحية بولس تحولت إلى أساس لعقيدة الكنيسة، بحيث أن تصور تصوير عيسى في باطن هذا الفكر الكنسي، مستحيل تقريبا من دون هذا الوسيط، وهذا لم يكن البرهان الوحيد الذي يثبت حجم تعالم بولس الحواري[٢٧] **ويشمل وزنها أيضا. لذلك إن كان بولس ينشر تعاليمه بصورة مستقلة وبمنأى عن تعاليم عيسى عليه السلام، لم يكن واضحا أي منحى سننحو. وربما لم نكن لنصبح في تلك الحقبة مسيحيين، بل كنا سنكون كلنا بولسيين!!، إن بولس هو شخص تحول من دون أن يريد إلى مؤسس العقيدة المسيحية، وحصل هذا عن طريق الخطابات الإرشادية التي كان يدلي بها للطوائف المختلفة التي أرساها هو بنفسه، وبلا شك، فان بولس كان يتمتع بعبقرية دينية، والحقيقة هي أن بولس كان ظاهرة منقطعة النظير وأن تعاليمه انتشرت في كل مكان كانتشار النار في الهشيم، كما نجح في تكوين مفهوم للمسيح لم يكن ليأتي به المسيح ذاته. لذلك فان الدين الذي أتى به بولس والذي استحدث في مستهل المسيحية، كان خليطا من العناصر غير المتجانسة بما فيها الأساطير القديمة، وأول اجراء له تمثل في تفسير أقوال المسيح. لقد كان أول انسان تسبب في تدميرها وإبادتها.**

ويتحدث روزنبرغ بصراحة عن إنتماء بولس للتعاليم اليهودية

الدراسات الثقافية

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

والتوراتية، ويعتبر اجراءاته بانها مؤامرة لدس السم في ديانة النبي **عيسى**عليه السلام:

لقد كان هذا تطورا كبيرا للغاية، إذ يعتبر بمثابة قرار بتحريف بشارة عيسى نسبة إلى سلسلته. لقد غير بولس، مفهوم عقيدة الإنقاذ الطاهرة والواضحة لدى عيسى وانتقل بذلك اهتمام بولس من الحياة المثالية والطيبة لعيسى إلى الفلاح والنجاة عن طريق موته، وتحول بذلك عيسى لدى بولس إلى «إنسان إلهي» ومعلم وصديق للبشرية ومعبود مقدس ثان. إن الديانة التي نشرها بولس في ظل تصوراته الجريئة والشاعرية، لم يكن هدفها سوى ربط الإنسانية الالهية لعيسى بن مريم بالأساطير والوديان الساحقة لمعتقدات الشرق الأدنى ومخلص ينهض من بين الموتى بعد الموت. لذلك، فان الخرافات التي قدمها بولس، لم تهتم بحياة عيسى بقدر اهتمامها بموته، وتوصل بولس بهذه الوسيلة إلى درك خاطئ وأرعن عن موت عيسى ألا وهو أنه ضحى بنفسه من أجل جميع الناس.

ويواصل **روزنبرغ** قائلا:

وليس من الممكن فهم شخصية بولس من دون الإهتمام بحماسته لدفع الجماهير نحو «بيت العلم» اليهودي. وكان هذا مكانا وبسبب تعاليمه اضطر عيسى لمغادرة بيته لنشر تعاليمه وتوصيلها إلى قلوب الناس، وأدى ذلك إلى إتاحة المجال لبولس ليدس سمومه بداخل ديانة عيسى والتي عرفت فيما بعد بالمسيحية، وتحصل هذا من خلال الإستخدام الذكي لأدوات ووسائل كانت قد استخدمت في العهد العتيق للديانة اليهودية اللاذعة والمريرة.[٢٨]

وهذه اعترافات مهمة وصريحة من مؤلف كاثوليكي حول **بولس** اليهودي المتخفي الذي يقول **ويل ديورانت** بشأنه:

لقد بقي بولس يهوديا في العقل والأخلاق حتى نهاية عمره.[٢٩]

ويقول يهودي يدعى **يواخيم برنز** بشأن بولس:

ويبدأ العصر الجديد للمسيحية مع بولس، وبناء على ذلك، لم يكن من قبيل الصدفة أنه كان يجيد اللغات العبرية واليونانية والسريانية، فقد أدرك واجتذب الفكر المسيحي الجديد ونقل المسيح إلى عالم الكفر ومزدوج العبادة «الإمبراطورية الرومانية». لقد تحول إلى أول مبشر يخرج المسيحية من مسقط رأسها الرئيسي «فلسطين»، لان «اورشليم» وبعد الإشتباكات العنيفة بين اليهود وجيش الإحتلال الروماني، أصيبت بالركود والكآبة، وأدى هذا إلى تدمير المدينة نهائيا بعام ٧٠ للميلاد، وبذلك أصبح من الصعوبة بمكان حماية كنيسة المسيح الرئيسية فيها!!

وعندما بدأ بولس عمله المهم، كان العديد من اليهود يقطنون حوالي البحر الأبيض المتوسط، وانتشروا في كل مدينة وبلد في تلك المنطقة. وكان بولس يدلي بمواعظه بين الناس بلغات عديدة وعناصر مختلفة، وكان في تلك الحقبة يواصل رحلاته التبشيرية. وكانت بداية رحلته إلى الأجزاء المختلفة للإمبراطورية الرومانية مترامية الأطراف، وسافر في طريقه إلى اسبانيا حيث كانت جماعة من اليهود القدامى تعيش هناك ويوجد فيها مكان لمستعمرة من اليهود. والتقى في مدينة روما، بأحد الحواريين الإثني عشر وكان يدعى «بطرس». وكان بطرس يسمى شمعون ايضا، وكان هذا إسما يهوديا قديما، لكن تحوله ومنصبه الجديد كان يتطلبان إنتخاب اسم جديد له. وبعد بطرس أول بابا يهودي، والسبب الرئيسي لكون «الكنيسة الرومانية» (أو الكاثوليك) تحظى بالثقة، يعود إلى أن مؤسسيها الحقيقيين، كانوا بولس لاسيما بطرس الذي دخل إلى روما قبل بولس.[٣٠]

وهذا اعتراف صريح من يهودي، من أن «الكنيسة الرومانية» تأسست على يد هذين اليهوديين أي **بطرس** وبولس، لذلك، لابد للقارئ الكريم أن يدرك من هنا عمق نفوذ اليهود الذين حافظوا قلبا وقالبا على يهوديتهم، واعتنقوا المسيحية وأثرهم لاسيما بولس على معتقدات وأفكار المسيحية.[٣١]

وقدم **غوستاف لوبون**، بولس على أنه مؤسس الدين الجديد، ويصف ما حل بالمسيحية الأولى على يد بولس، بالفضيحة ويقول:

لقد أسس بولس، ديننا باسم عيسىعليه السلام**، في حين إن كان عيسى على قيد الحياة، لما كان يدرك شيئا من هذا الدين، وإن كان قيل للحواريين الإثني عشر بان الله تجسد في عيسى، لما كانوا يستحملون هذه الفضيحة، ولكانوا يرفعون عقيرتهم إحتجاجا على ذلك.**[٣٢]

ويقول **شاول جنيبر**، رئيس قسم الأديان في «جامعة باريس»:

وتظاهر بولس متعمدا بانه يجهل أفكار عيسى الناصري، ولم يكن توجهه سوى نحو عيسى المصلوب. إن تصور عيسى كشخصية الهية يتقدم وجوده على العالم باسره، ورجل سماوي حفظه الله في كنفه لفترة طويلة، إلى أن ينزل إلى الأرض ليوجد حقا على البشرية ألا وهو دمه، يؤدي إلى أن نستخدم في غاية الإستغراب تعبير إبن الله بشأنه، لكن يجب القول بان فكر الله فيما يخص بولس والتراث العقائدي اليهودي، قد دخل المسيحية، وبذلك كيف يمكن تصور إبنا لهذا الله.[٣٣]

إن اللّه أكبر وأرفع من أن يملك إبنا وشريكا أو زوجة مثلما يقول المفترون الكاذبون الكفرة.

ويقول **كاردينال دانيلو**:

إن المسيحيين الأحرار يعتبرون بولس، خائنا وعدوا توصل إلى وثائق المسيحية، ويتهمونه بتنفيذ اتفاق تكتيكي خلال إعتناقه للديانة المسيحية.[٣٤]

وبذلك نفهم بجلاء ومن خلال الإقتباسات المذكورة عن رسائل بولس وأقواله وتعاليمه وكذلك عن طريق كلام رجال وعلماء اللاهوت المسيحي من جميع الطوائف والمذاهب سواء الكاثوليك والبروتستانت أو الأرثوذكس وما ذكره المؤلف الامريكي ويل ديورانت واستنتجه من أن بولس بقي حتى اخر عمره في العقل والأخلاق اليهودية، بأن الدين والعقيدة والإيمان الحقيقي لبولس هو اليهودية، وان السبب الوحيد لاعتناقه المسيحية هو السعي لتدمير الديانة المسيحية وقد نال ما كان يصبو إليه في هذا الخصوص... .[٣٥]

وعلى أي حال، فانه لا يمكن تجاهل الدور التخريبي والإنحرافي لبولس في الديانة المسيحية بغض النظر عما قاله العلماء والباحثون الغربيون بشأنه كما أن مصادرنا الروائية تنطوي على إشارات مهمة إلى دور بولس في حرف الديانة المسيحية عن مسارها الحقيقي. وكما أسلفنا، فان العلامة **المجلسي** يشير في الجزء الثامن من مجموعة «بحار الأنوار» (الحديث ٧٧) بصورة مسهبة نقلا عن **الإمام موسى بن جعفر**عليه السلام إلى سبعة أشخاص يحشرون في أحد أصعب أماكن جهنم. وفي هذه الرواية فان هذه الشخص يحشر مع أشخاص مثل **نمرود وفرعون** و... .[٣٦]

ويقدم بولس وإستنادا إلى التعاليم اليهودية ودمجها بالأفكار الرائجة في عصره، إنطباعا وتفسيرا مختلفا ومنحرفا عن هذه الديانة لاسيما شخصية وفعل النبي **عيسى**عليه السلام، إذ أن ذلك هو بعيد كل البعد عن تعاليم وشخصية هذه الرسول الكريم.

الهوامش:

1. Paulus.

٢. آشتياني، جلاالدّين، «دراسة في الديانة المسيحية»، صص ٣٣ و ٣٤.
٣. المصدر السابق، ص ٣٣ (الهوامش).
٤. لورير، «تاريخ الكنيسة»، المصدر السابق، صص ٤٨-٥٣.
٥. «تفسير العهد الجديد»، الفصل التاسع، هداية شاول.
٦. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٦٦؛ نقلا عن مايكل هارت، «الخالدون المائة».
٧. رشّاد، يوسف، «المصدر السابق»، ص٧٠؛ نقلا عن غوستاف لوبون، «عيش الحقايق»، ص ١٨٧.
٨. روبرت كيل تسلر (Robert Kehl Zeller) ولد عام ١٩١٤م. في «ألمانيا» وعمل محاميا ومن ثم قاضيا في وزارة العدل الالمانية. ومن ثم أصبح أستاذا للقانون المدني في «جامعة زيورغ"، وواصل نشاطه كباحث في الدين والأخلاق والوطنية، ولقي كتابه إستحسانا وإعجابا كبيرين من لدن الشخصيات الثقافية والباحثين في مجال اللاهوت في «اوروبا».
٩. الغلاطيون، ١٢:١١/١. الفصل الأوّل «رسالة بولس إلى الغلاطيين» تقول: إن بولس هو رسول ليس من جنس الناس والإنسان، بل هو من جنس عيسى المسيحعليه السلام وأب بعث من بين الموتى.
١٠. المصدر السابق، ١٠:٩/١ وكذلك الفصل الأوّل يقول: لكن إن بشرناكم، بان ملكا من السماء لم يبشر بما بشرناه به، فهو ملعون.
١١. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، المصدر السابق، صص ٣٢-٣٣؛ نقلا عن الدكتور روبرت كيل تسلر، «الخديعة الكبرى». (مرفق بالكتاب)
١٢. الرواقية هي مدرسة فلسفية تأسست نحو عام ٣٠٠ ق.م. أو بعد أرسطو، وهي من أنواع العقائد الفلسفية المبنية على نظريات في المنطق وماوراء الطبيعة (أو اللاهوت) لكن هدفها الإسمي كان الأخلاق، وتشبه إلى حد كبير التصوف والرهبانية التي ابتدعها بولس في المسيحية.
١٣. في حين أنه خان الديانة اليهودية، لان الشريعة اليهودية تؤمن بالختان؛ لكن بولس حرم الختان ومخترعه في الديانة المسيحية، وسنعرض قريبا حديث مسهبا بهذا الخصوص.
١٤. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٣٥.
١٥. المصدر السابق، صص ٣٣-٣٥؛ نقلا عن ويل ديورانت.
١٦. المصدر السابق، ص ٥٠؛ نقلا عن رسالة «بولس إلى أهالي كورنتوس»، الفصل الأوّل، ص ٣.
١٧. المصدر السابق، ص ٤٥؛ نقلا عن «رسالة إلى العبرانيين»، الفصل السادس، ص ١.
١٨. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٦٣.
١٩. المصدر السابق، ص ٦٤؛ نقلا عن القس پاولس هيبرلين، «الإنجيل واللاهوت»، ص ٧٥.
٢٠. المصدر السابق، ص ٦٤؛ «تاريخ العقائد»، ص ٩٣.
٢١. المصدر السابق، ص ٦٥؛ «بولس الحواري»، ص ٥١.
٢٢. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٦٥؛ «jousus «Ropprt»، ص ٥١.
٢٣. المصدر السابق، ص ٦٥؛ «Exlibris Heft»، ص ٥، نسخة ديسمبر ١٩٧٣م.
٢٤. المصدر السابق؛ رجاس، ليونارد، «هل هذا إصلاح أم تقهقر؟»
٢٥. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، صص ٦٤-٦٦
٢٦. المصدر السابق، ص ٦٧، «هل هذا إصلاح أم تقهقر؟»، صص ١٨-١٩.
٢٧. لم يثبت أبدا أن بولس كان من حواريي عيسى أو أحد أنصاره.
٢٨. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٦٨؛ نقلا عن «تجربة المسيحية»، آلفونس روزنبرغ، فصل: «من يطرد بولس من الكتاب المقدّس؟»، عن كتاب «الخديعة الكبرى»، روبرت كلر.
٢٩. المصدر السابق، ص ٦٩؛ نقلا عن ويل ديورانت، «قصة الحضارة»، ٢٦٩/١١.
٣٠. إقتباس من كتاب «بابوات من الأحياء اليهودية»، يواخيم برنز، نقله إلى العربية الأستاذ خالد أسعد عيسى، راجعه وقدم له الدكتور سهيل زكار، صص ٧٤-٧٩.
٣١. المصدر السابق، ص ٧٠.
٣٢. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص٧١؛ نقلا عن «عيش الحقائق»، غوستاف لوبون، ص ١٨٧.
٣٣. رشّاد، يوسف، «اليهود المتخفون وأثرهم في المسيحية»، ص ٧١؛ «المسيحية، تبلورها وتطورها»، شارل جنيبر، ص ١٠٥.
٣٤. المصدر السابق، ص ٧١؛ نقلا عن «حقيقة البشر»، أحمد عبدالوهاب، ص ٥٩.
٣٥. المصدر السابق، صص ٧١-٧٢.
٣٦. عن إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن موسى ع في حديث طويل يقول فيه: «يا إسحاق إنّ في النّار لواديا يقال له سقر لم يتنفّس منذ خلقه اللّه لو أذن اللّه عزّ و جلّ له في التّنفّس بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الأرض و إنّ أهل النّار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادي و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله و إنّ في ذلك الوادي لجبلا يتعوّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله و إنّ في ذلك الجبل لشعبا يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشّعب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله و إنّ في ذلك الشّعب لقليبا «١» يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك القليب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله و إنّ في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة و نتنها و قذرها و ما أعدّ اللّه في أنيابها من السّمّ لأهلها و إنّ في جوف تلك الحيّة لصنديق «٢» فيها خمسةٌ من الأمم السّالفة و اثنان من هذه الأمّة قال قلت جعلت فداك و من الخمسة و من الاثنان قال فأمّا الخمسة فقابيل الّذي قتل هابيل و نمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه فقال أنا أحيي و أميت و فرعون الّذي قال أنا ربّكم الأعلى و يهود الّذي هوّد اليهود و بولس الّذي نصّر النّصارى و من هذه الأمّة أعرابيّان»؛ (إبن بابويه، محمّد بن علي، «الخصال»، قم، رابطة المدرّسين، الطبعة الاولى، ١٣٦٢هـ.ش.، ج ٢، ص ٣٩٨؛ المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التّراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.ق.، ج ٨، ص ٣١٠.)

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة » (الجزء الخامس): أطوار المسيحية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ش.

الصّعتـر

ماهيّة الصّعتر

إنّ الصّعتر (الزعتر أو السعتر) نبات كثير الأصناف، و كلّها مشهورة. و ذلك أنّ هذا النبات منه بريّ، و منه بستانيّ، و منه جبليّ.

و جوهر هذا النبات فيه أرضيّة و مائيّة، يظهران فيه إذا اعتصر فكان له ثفل و عصارة، و فيه ناريّة، و هي المحدثة لحرافة طعمه و حدّته.

و أرضيّته بعضها باردة، و هي التي بها قبضه؛ و بعضها حارّة محترقة، و هي التي بها مرارته.

و جوهره لطيف، لأنّ أرضيّته الباردة، قليلة. و البريّ منه ألطف و أقوى قوّة، و كذلك الجبليّ.

طبيعة الصّعتر

إنّ هذا الدّواء لما كان جوهره فيه ناريّة كثيرة، فإنّ حرافته شديدة. و هذا يكون طبعه قويّ الحرارة، و ذلك لأنّ أكثر أرضيّته هي أنها شديدة الحرارة محترقة. و أرضيّته الباردة قليلة، و كذلك مائيّته ليست بكثيرة جدّا؛ و يلزم ذلك أن تكون حرارته قويّة.

ويكون مع ذلك يابسا، و ذلك لأجل قلّة مائيّته و معاضدة الناريّة التي فيه لأرضيّته على اليبوسة. و لأنّ يبوسته قويّة، و حرارته محلّلة بقوّة فهو مجفّف.

فعل الصّعتر

في أعضاء الرّأس

• إنّ هذا الدّواء لما كان الغالب من أرضيّته، هي الأرضيّة المرّة، و هي لطيفة؛ فهو شديد التصعّد إلى الرّأس، إذا فعلت فيه حرارة المعدة. و ما يتصعّد منه يكون لطيفا.

• و يكون مقوّيا للدّماغ بما فيه من التقوية، بما يصحبه من الأرضيّة القابضة؛ و بما فيه من العطريّة، يقوّي أرواح الدّماغ. و يكون مصلحا للذّهن.

• و يقوّي الحواسّ كلّها؛ لأجل تلطيفه للأرواح الدّماغيّة، و تفتيحه لمجاريها؛ فلذلك يحدّ الحواسّ و يزكّيها، و خاصة البصر.

• إن تناول الصّعتر يحدّ البصر الضعيف، خاصة ما يكون ضعفه لأجل كثرة الرّطوبة و غلظ الرّوح، و يقوّي جرم العين، و ينشّف بلّتها، و يلطّف ما يكون فيها من الماء. و ينفع جدّا لابتداء نزول هذا الماء في العين، و يحلّ الرياح التي تكون في داخل العين؛ فلذلك ينفع من الصّداع الذي تنفتح فيه شؤون الصّبيان و تكبر رؤوسهم، و يسكّن الصّداع البارد، و ينفع من النزلات الباردة.

• ومضغ الصّعتر يسكّن وجع الأسنان إذا كان من البرد. و يقال إنه يذهب حفر الأسنان. و كذلك هو شديد النفع للّثة المرهّلة.

في أعضاء التنفّس (و هي أعضاء الصّدر)

• إنّ هذا الدّواء لما كان لطيف الجوهر جدّا، نفّاذا؛ فهو كثير التصعّد للدماغ؛ لأجل شدّة قبول أرضيّته لذلك. و إنما ينفذ إلى الدّماغ بعد حصوله في داخل الصّدر كثيرا جدّا؛ لأنه ينفذ إلى هناك من مسامّ الحجاب الفاصل بين المرّئ و قصبة الرّئة، بسبب شدّة لطافته.

• و لما كان هذا الدّواء من شأنه الجلاء، و التلطيف، و التفتيح، و التحليل و التجفيف، و التنقية.

• و تكون أفعاله هذه كلها في أعضاء الصّدر قويّة. فلذلك يشتدّ (جلاؤه لما يلقاه في هذه الأعضاء ملتصقا بها، من البلغم و نحوه فتبرؤه عن الموضع الملتصق به. و يشتدّ أيضا) تلطيفه لذلك البلغم حتى يرقّ و يستعدّ للخروج و الانفصال. و يفتح بقوّة مجارى الرّئة، فتتهيّأ لسهولة نفوذذلك البلغم فيها. فلذلك هذا الدّواء يسهّل النّفث، و بسبب ذلك يسهّل النّفس؛ لأنّه يزيل المادّة السادّة لمجاريه، و المعسرة لنفوذه فيها دخولا و خروجا.

• فلذلك كان هذا الدّواء نافعا من الرّبو، و نفس الانتصاب، و من النزلات الغليظة النازلة إلى الصّدر و الرّئة؛ لما قلناه، و لأنه يجفّف المادة النازلة و يحلّلها.

• و إذا لعق هذا الدّواء بالعسل، أو بشراب الرّمّان و نحو ذلك، نفع من السّعال البلغميّ، و البارد، و القديم، و كذلك ينفع من ورم اللّهاة و اللّوزتين و ورم الرّئة.

• و هذا الدّواء لا يخلو من ترياقيّة و تفريح، و ذلك لأنه مع قبضه عطر. و مع ذلك فإنه حارّ، ملطّف للمزاج، و محلّل للمادة السّمّيّة.

في أعضاء الغذاء

• هو نافع للمعدة، حبيب لها، إلاّ أن يكون قوىّ الحرارة فإنه حينئذ قد يضرّها بحرارته؛ و كذلك ما يكون حادّا، فيضرّها بحدّته.

• والصّعتر من جملة هذه الأشياء القويّة الحرارة، الشديدة الحدّة؛ فلذلك يكون ضارّا بالمعدة، لكنه لأجل عطريّته يتدارك ذلك. إذ جميع الأشياء العطرة، فإنها شديدة الملائمة للمعدة و فمها، خاصة إذا كانت – مع عطريتها – قابضة. فلذلك كان الصّعتر مع حدّته، و قوّة حرارته نافعا للمعدة.

• و لأنه محلّل ملطّف بقوة فهو لذلك يفشّ الرّياح منها و من الأمعاء، و سائر الأحشاء، و يسخّن المعدة و الكبد، و يفتح سددها لأنه قوىّ التفتيح. و يشتدّ نفعه لصاحب الغثيان؛ و ذلك لأجل تجفيفه المادة المغثية.

• و لأجل تجفيف الصّعتر للمعدة من البلغم و الفضول يبوسته للطعام، ينبّه المعدة على طلبه؛ لأجل إجلائها من الفضول المانعة من قبوله، و لا يساغ أن يكون مع ذلك نقص الشهوة الغريبة الكلبيّة، إلا إذا كان سبب هذه الشهوة هو بلغم حامض في المعدة، أو شدّة بردها و برد فمها. فإنّ الصّعتر يكون حينئذ شفاء من هذه الشهوة.

• و كذلك فإنه يخلط مع الأغذية الغليظة ليلطّفها و يعين على هضمها، و هذه كالباقلّى و الحمّص و الكمأة و نحو ذلك. و إذا خلط بالخلّ و استعمل مع اللحوم لطّفها، و أنفذها للانهضام، و أكسبها لذاذة.

• و إذا شرب بالخلّ، وافق المطحولين. و هذا (لأنه) لأجل تلطيفه و تحليله و لأجل لطافة جوهره، يسهل نفوذه إلى المواضع البعيدة؛ فلذلك يصل إلى الطّحال و هو بعد على قوّته.

• و كذلك ينفع من اليرقان، و من سدد الكبد، و يرقّق الدّم جدّا و كذلك يكثر تولّد الأرواح، لأنها إنما تتولّد من دم رقيق. و يزيل بلّة المعدة، و كذلك يقوّى إمساكها للغذاء.

في أعضاء النّفض

• إن الصعتر يكون عاقلا للبطن، خاصة و هو مع ذلك يدرّ البول. و لأجل جلائه و تلطيفه و تسييله، ينبغى أن يكون دواء مسهلا، خاصة و هو مع ذلك قابض فيكون قبضه دافعا للفضول التي يسيّلها بعصره المجرى عليها؛ فلذلك هو من الأدوية المسهلة.

• و يشرب منه للإسهال وزن مثقالين مع الملح و الخلّ لأن هذين يعينانه على ذلك بما فيهما من التلطيف و التقطيع. و هو – مع إسهاله – مدرّ للبول، و يدرّ الحيض أيضا و يسكّن أوجاع الرّحم و رياحها، و كذلك أوجاع المثانة. و إذا شرب هذا الدّواء بالعسل، أطلق البطن، و أخرج فضولا سوداويّة.

الصّعتر في كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام

عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال:

«**كان دواء أمير المؤمنين عليه السلام السعتر و كان يقول إنه يصير للمعدة خملا كخمل القطيفة.**»[١]

عن أبي الحسن عليه السلام أنه شكا إليه رطوبة فأمره أن يستف السعتر على الريق.[٢]

وروي عن الصادق عليه السلام: «**أن الصعتر يدبغ المعدة و في حديث آخر أن الصعتر ينبت زئبر المعدة.**»[٣]

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه دعا بالهاضوم و الصعتر و الحبة السوداء فكان يستفه إذا أكل البياض و طعاما له غائلة و كان يجعله مع الملح الجريش و يفتح به الطعام و يقول ما أبالي إذا تغاديته ما أكلت من شيء و كان يقول: «**يقوي المعدة و يقطع البلغم و هو أمان من اللقوة.**»[٤]

الهوامش:

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ق.، ج ٦، ص ٣٧٥.
٢. نفس المصدر.
٣. البرقي، احمد بن محمد، «المحاسن»، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١ق.، ج ٢، ص ٥١٦.
٤. المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق.، ج ٦٣، ص ٢٤٤.

المصدر: ابن نفيس، على بن ابى‌حزم، «الشامل في الصناعة الطبية»، ايران، طهران، طباعة دانشگاه علوم پزشكى ايران – مؤسسه مطالعات تاريخ پزشكى، ١٣٨٧ش.

منابع الشريعة – القسم الأوّل

إن منابع الشريعة هما **الكتاب العزيز** و**السنة المطهرة** من أقوال وأفعال الرسول ﷺ و**أقوال** الأئمة المعصومين عليهم السلام و**أفعالهم وتقريراتهم**، وقال الكاظم عليه السلام **لهشام بن الحكم** في الوصية المعروفة: «**يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.**»[١]

وقال الصادق عليه السلام **لعبد الله بن سنان**: «**حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل.**»[٢]

وفي حديث طويل للصادق عليه السلام حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وصفاته الكمالية وبه عرفت الكمالات، قيل له: فهل يكفي العباد بالعقل دون غيره؟

قال: «**إن العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية، فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به.**»[٣]

وقد روى السنة والشيعة بالطرق المستفيضة المتواترة حديث الثقلين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.**»

وقد رواه عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابيا وما لا يقل عن مائتي عالم من كبار علماء السنة بألفاظ مختلفة في كتبهم[٤] فضلا عن الشيعة.

وروى **الشيخ الصدوق** في «معاني الأخبار»[٥] عن الباقر عليه السلام قال: «خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام **بالكوفة بعد منصرفه من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبه ويلعنه ويقتل أصحابه، فبعد حمد الله والثناء عليه قال** عليه السلام: **يا أيها الناس إنه بلغني ما بلغني وإني أراني قد اقتربت أجلي، وكأني بكم وقد جهلتم أمري، وإني تارك فيكم ما تركه رسول الله ﷺ كتاب الله وعترتي، وهي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيد النجباء والنبي المصطفى.**»

وقال الصادق عليه السلام: «**الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن، إلا وقد أنزله الله فيه.**»[٦]

وقال عليه السلام: «**ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة.**»[٧]

وقال: «**ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة.**»[٨]

وقال زين العابدين عليه السلام: «**إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل.**»[٩]

وقال الباقر عليه السلام: «**كل من تعدى السنة رد إلى السنة.**»[١٠]

وقال الصادق عليه السلام: «**من خالف كتاب الله وسنة محمد ﷺ فقد كفر.**»[١١]

وعن الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة.**»[١٢]

وقال عليه السلام: «**من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة.**»[١٣] أي من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصوم جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر في تيه، مع كونه ذلك اليوم في أشد الحاجة إلى الأمان والقرار، أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وفي الرسالة المشهورة للإمام الصادق عليه السلام إلى أصحابه والتي أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، والتي رواها **الكليني** في كتاب «الروضة من الكافي.»[١٤] بطرق معتبرة نذكر موضعا منها مما يهم الكلام في المقام.

قال عليه السلام: «**أيتها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلا، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم ــ وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم ــ أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق.**

وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة»[١٥]

فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان، لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراما، وجعلوا ما حرم الله في كثير من الأمر حلالا، فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله ﷺ قبل موته، فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عز وجل رسوله ﷺ يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس بعدما قبض الله عز وجل رسوله ﷺ وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به مخالفا لله ولرسوله ﷺ.

فما أحد أجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه، والله إن لله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد ﷺ وبعد موته، هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحدا ممن أسلم مع محمد ﷺ أخذ بقوله ورأيه ومقاييسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضل ضلالا بعيدا، وإن قال: لا، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقاييسه فقد أقر بالحجة على نفسه، وهو ممن زعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض الرسول ﷺ، وقد قال الله وقوله الحق:

«**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**»[١٦]

وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد ﷺ وبعد قبض الله محمدا ﷺ، وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافا لأمر محمد ﷺ فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه...

إلى أن قال عليه السلام: «**أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار الرسول ﷺ وآله وسننه وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ من بعده وسنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضل لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال أبونا رسول الله ﷺ: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء، إلا أن اتباع الأهواء واتباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار، ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا، لأن الصبر والرضا من طاعة الله...**»

إلى أن قال عليه السلام: «**فإن من لم يجعل الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن، وإن لشياطين الإنس حيلة ومكرا وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحق في الشك والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى في كتاب من قوله: «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً»**[١٧]

ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله وليا ولا نصيرا، فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق الذي خصكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم...»

إلى أن قال: «**هذا أدبنا أدب الله، فخذوا به وتفهموه واعقلوه، ولا تنبذوه وراء ظهوركم.**»

وروى الكليني في كتاب «الكافي» في أبواب «الحجة، باب الغيبة»[١٨] بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«**اللهم إنه لا بد لك من حجج في أرضك، حجة بعد حجة على خلقك، يهدونهم إلى دينك، ويعلمونهم علمك، كي لا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون.**»

ويقول عليه السلام في هذه الخطبة في موضع آخر: «**فيمن هذا؟ ولهذا يأرز**[١٩] **العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه، اللهم فإني لأعلم أن العلم لا يأرز كله ولا ينقطع مواده، وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم؟ وكم هم؟ أولئك الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا.**»

وفي كلامه عليه السلام إشارة إلى غيبة الحجة عجل الله فرجه، حيث قال: «**أو مكتتم مترقب إن غاب عن الناس**» والاكتتام إشارة إلى عدم نصب الحجة الغائب النائب الخاص في غيبته وهي الطولى الكبرى، وأشار عليه السلام بقوله: «**إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون**» إلى الوظيفة في الغيبة الكبرى، وهي الرجوع إلى أحاديث الأئمة الحجج عليهم السلام المثبتة في كتب المؤمنين الرواة منذ قديم أيام الأئمة عليهم السلام، وأن هذه الأحاديث المأثورة عنهم هي علم الأئمة وآدابهم، وهي منبع الدين والشريعة والهداية.

وأشار عليه السلام بقوله: «**ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه**» إلى أن العلم بالشريعة بين الناس يذهب ويقل بذهاب الفقهاء والحفاظ والرواة عن الأئمة عليهم السلام، وهذا وجه قول الصادق عليه السلام الذي سبق حول زرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير وبريد.

وروى **الصدوق** في كتابه «إكمال الدين»[٢٠] بسنده عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «**يا علي، أعجب الناس إيمانا وأعظمهم يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا بالنبي ﷺ، وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسوادٍ على بياض.**»

وروى **الكشي** في كتاب «الرجال»[٢١] بسنده إلى **أبي هاشم الجعفري** قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألفه **يونس عبد الرحمن** (وهو من أصحاب الرضا عليه السلام وكان من أفقه أصحابه) على أبي الحسن العسكري عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله، ثم قال: «**هذا ديني ودين آبائي كله وهو الحق كله.**»

وروى الكليني بسنده عن **محمد بن الحسن بن أبي خالد شينو** له قال: قلت لأبي جعفر الثاني (الجواد) عليه السلام: **جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق)** عليهما السلام **وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت تلك الكتب إلينا**، فقال: «**حدثوا بها فإنها حق.**»[٢٢]

وروى الشيخ الجليل الأقدم **ابن شعبة الحراني** في كتابه «تحف العقول»[٢٣] عن الكاظم عليه السلام أنه كان **لأبي يوسف** (تلميذ أبي حنيفة وقاضي العباسيين) معه كلام في مجلس **الرشيد**، فقال الرشيد بعد كلام طويل لموسى بن جعفر عليه السلام: **بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه**،[٢٤] فقال: «**نعم**»، وأتى بدواة وقرطاس فكتب:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها، والأخبار المجمع عليها وهو الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشك والإنكار فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا تسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له، وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته.**

فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بينها الله ورسوله ﷺ في قوله لنبيه: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ»[٢٥] **تبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلم العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجور يحتج على خلقه بما يعلمون يدعوهم إلى ما يعرفون**

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

لا إلى ما يجهلون وينكرون.»

ومضمون كتاب الكاظم عليه السلام هو مضمون ما تقدم في بداية هذا الأمر الرابع عن الصادق عليه السلام من أن العقل وإن كان حجة يدرك به التوحيد وصفات الخالق والكمالات وحسن العدل وقبح الظلم وإحالة اجتماع النقيضين ونحوها، ولكن لا يكتفى به في معرفة مراضي الله ومعاصيه وأوامره ونواهيه، بل لا بد من العلم وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة للنبي وآله عليهم السلام، فهذه هي الحجج الثلاث المشار إليها في قوله عليه السلام: «**فمن أورد واحدة من هذه الثلاث وهي الحجة البالغة.**»

كما أن المشار إليه بقوله عليه السلام: «**وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين**» هو ما تقدم في صدر كلامه عليه السلام من إجماع الأمة على الضرورة والأخبار المجمع عليها أو الأمر الذي لا اختلاف فيه والذي فيه الشك سواء كان من الأصول أو الفروع، والمراد من العرض هو ملاحظة الأمر المشكوك سواء في أصول الدين أو فروعه ومقارنته مع الضروريات والسنة القطعية والمستفيضة عنهم عليهم السلام، فما وافقها اصطفى وارتضى، وما نافاها أنكر ونفى.

وهذه ضابطة وردت بها أحاديث مستفيضة كما في قول الباقر عليه السلام: «**الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه.**»[٢٦]

وقال الصادق عليه السلام: «**إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا فالذي جاءكم به أولى به.**»،[٢٧] وقال: «**كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.**»[٢٨]

وقال الرضا عليه السلام: «**إن الله حرم حراما وأحل حلالا وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرم الله أو في تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعا مسلما مؤديا عن الله، وذلك قول الله: «إِنْ أتبع إلا ما يوحى إلي.»**،[٢٩] فكان عليه السلام متبعا لله مؤديا عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة...، إلى أن قال: «**إنا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله ...**»، إلى أن قال: «**فإما أن نستحل ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، أو نحرم ما استحل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يكون ذلك أبدا، لأنا تابعون لرسول الله صلى الله عليه وآله، مسلمون له كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله تابعا لأمر ربه مسلما له، وقال الله عز وجل: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا.**»[٣٠و٣١]

وقال الصادق عليه السلام: «**حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال أبدا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره.**»،[٣٢] وقال: «**قال علي: ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة.**»[٣٣]

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر قال: «**واردد إلى الله ورسوله ما يظلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنازَعتُم في شَيءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسولِ**»[٣٤] **فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة.**»[٣٤]

وفي «تفسير العياشي»[٣٦] عن **سدير** قال: قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله الصادق عليهما السلام: «**لا يصدق علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.**»

الهوامش:

١. «الكافي»، ج ١، ص ١٦، كتاب العقل والجهل، ح ١٢.
٢. نفس المصدر، ص ٢٥، كتاب العقل والجهل، ح ٢٢.
٣. نفس المصدر، ص ٢٨، كتاب العقل والجهل، ح ٣٤.
٤. راجع «صحيح مسلم»، ج ٤، ص ١١٠؛ و«مسند أحمد»، ج ٤، ص ٣٦٦، و٥، ص ١٨١.
٥. «معاني الاخبار»، ص ٥٨.
٦. «الكافي»، ج ١، ص ٥٩، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح ١.
٧. نفس المصدر، ص ٥٩، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح ٣.
٨. نفس المصدر، ص ٥٩، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح ٤.
٩. نفس المصدر، ص ٧٠، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٧.
١٠. نفس المصدر، ص ٧٠، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ١١.
١١. نفس المصدر، ص ٧٠، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٦.
١٢. نفس المصدر، ص ٧٠، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٩.
١٣. نفس المصدر، ص ٣٧٧، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح ٤.
١٤. نفس المصدر، ج ٨، ص ٢، ح ١.
١٥. تحتمل إرادة عالم الأرواح أو التقرر العلمي للأشياء.
١٦. سورة آل عمران، الآية ١٤٤؛ والخطاب في الآية الشريفة يشملنا نحن أبناء هذا الزمن أيضاً، ويهتف بنا عن تبديل الدين الحق والرجوع إلى العقب وإلى الضلالة.
١٧. سورة النساء، الآية ٨٩.
١٨. «الكافي»، ج ١، ص ص ٣٣٩.
١٩. أي، ص ينقبض ويرتفع، كناية عن ذهابه.
٢٠. «كمال الدين»، ص ٢٨٨، باب ٢٦، ح ٨.
٢١. «رجال الكشي»، ص ٤٨٤، الرقم ٩١٥.
٢٢. «الكافي»، ج ١، ص ٥٣، باب رواية الكتب والحديث، ح ١٥.
٢٣. «تحف العقول»، ص ٤٠٧.
٢٤. أي، ص لما وقع الكلام والمحادثة حوله.
٢٥. سورة الأنعام، الآية ١٤٩.
٢٦. «الكافي»، ج ١، ص ٥٠، باب النوادر، ح ٩.
٢٧. نفس المصدر، ص ٦٩، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٢.
٢٨. نفس المصدر، ص ٦٩، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٣.
٢٩. سورة الأنعام، الآية ٥٠.
٣٠. سورة الحشر، الآية ٧.
٣١. «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج ١، ص ٢٣، باب ما جاء في الحديثين المختلفين، ح ٤٥.
٣٢. «الكافي»، ج ١، ص ٥٨، باب البدع والرأي والقياس، ح ١٩.
٣٣. المصدر السابق.
٣٤. «نهج البلاغة»، ج ٣، ص ٩٣، الرقم ٥٣.
٣٥. سورة النساء، الآية ٥٩.
٣٦. «تفسير العياشي»، ج ١، ص ص ٨، ح ٦.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

إسماعيل شفيعي سروستاني

الـرهبنة الـذاتية

إن التنصل والاعتزال عن الحجة الوجيهة لحضرة الحق، يؤدي بالضرورة إلى غلبة الأهواء على الآراء وظهور الحجج المتعددة غير الوحيانية واضطراب العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية وبالتالي انفصال التطبيق عن النظرية، مثلما أن الخلفاء والسلاطين المنقطعين عن الكلام الوحياني، أخذوا يديرون شؤون الملك والدولة، وأهل الفتوى المنفصلين عن الشؤون الملكية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) انشغلوا بالأحكام الفردية والجزئية.

وتعطي الحجة الواحدة والثابتة والحقيقية طبعا والمنصبة من قبل الله المتعال، مكانها للحجج المختلفة المبتلاة بالظن والاحتمال في تلقي الحقائق. إن الآراء المتشتتة والأحكام المتغيرة وكل طائفة وفرقة، تفترض شخصا، كقائد ليدير أمورها.

ولنصر الله منشي، كاتب «كليلة ودمنة» المتمكن، عبارة مذهلة في باب برزوية الطبيب. إن عباراته تصف أوضاع المسلمين في كل سنوات الغيبة: وبحكم هذه المقدمات تبرمت من علم الطب وانصرفت لطلب الدين، ووجدت حقا، طريقه طويلة وبلا نهاية، فكلها مخاوف ومضائق، فلا مرشد يعينني ولا دال يدلني... والخلاف بين أصحاب الأمم، كلما كان أظهر، فالبعض سار على طريق الإرث، وأمسك بقرن ضعيف فيما استندت طائفة لجهة متابعة الملوك والخشية على النفس، إلى ركن هزيل، وركنت جماعة من أجل حطام الدنيا ورفعة المنزلة بين الخلق، إلى ركن مهترئ واتكأت على عظام منخورة، فالخلاف بينها تصاعد بشأن معرفة الخالق وبداية الخلق ونهاية الأمر، وبات الرأي أنه أنا مصيب والخصم مخطئ.

وبهذه الفكرة، جبت صحراء التردد والحيرة، وتأملت قليلا في تقلباتها، ولم أجد طريقا نحو الوجهة ولم أجد دلالة تدلني على الطريق الصحيح والحق.[١]

الرغم من أن جماعة أعرضت خطأ ومن منطلق الحب والبغض، عن متابعة ومواكبة أوصياء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وتأدية بيعة الغدير، فجلبت لنفسها وللاخرين المآسي، ما نعرفه وتعرفون.

إن اندلاع الخلاف واتباع الأهواء وبالتالي، تشرذم المسلمين، هو النتيجة الأدنى لهذه الواقعة المؤلمة التي وقعت بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وفتحت زاوية على النقيض من مطلب الإمام المعصوم عليه السلام، انحشر فيها المسلمون إلا فئة قليلة، وكلما مضى الزمان، تزايدت مسافة البعد عن الحقائق أكثر فاكثر، إلى أن حصل في الأرض وبين الناس، ضرب من **الرهبنة الذاتية**[٢] والشعور بالاستغناء التام عن الرجوع إلى الحجج الإلهيين والدينيين.

وقد اختار كل فريق، إماما له كحجة، وسار خلفه، وكل فرد، وجد أنه صاحب تخيير وتشخيص، وحجز لنفسه منصبا وموقعا وجاهزا لإرشاد الاخرين، لدرجة أن عدد الحجج وأصحاب الرأي بات في العصر الحاضر بعدد خطوط بصمات أنامل خلق الله؛ في حين لا يمكن اعتبار أيا منهم، أنه على الصراط المستقيم والمتوسل والمتمسك **بحبل الله المتين.**

لقد كان الحجج المنصبون من الله المتعال، يحوزون الشؤون الحقيقية والوجودية **والعصمة والعلم ومكلفين** بتطبيق الأوامر والأحكام والقضاء والحكم بين عباد الله، وكذلك توجيه وتسيير شؤون الأمة الاسلامية وإقامة الصرح والنظام السياسي والاجتماعي

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

القائم على الحقائق الدينية، وطبعا شريطة اهتمام الناس بهم ورجوعهم إليهم وعهدهم وبيعتهم لهم.

عن **ضريس الكناسي** قال:

سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول وعنده أناس من أصحابه:

«عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ص ثمّ يكسرون حجّتهم و يخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتّسليم لأمرنا أ ترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفى عنهم أخبار السّماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم...»[٣]

وفي هذه الرواية، يبين الإمام الباقر(عليه السلام) مقام حجية قول وفعل الإمام وتزوده بسلاح العلم والعصمة ومهمته للرد على أسئلة السائلين، ويستشكل على تقاعس وضعف قلب الناس ويعتبر ذلك سببا لانقطاع الأحكام وسريان الأوامر والنواهي السماوية بين الناس.

إن التيار الثقافي للرهبنة الذاتية في أوروبا العصر الحديث، لم يبق محدودا.

إن بسط النطاق الثقافي والحضاري للغرب، دفع البقية المتبقية من العناصر الثقافية والحضارية الشرقية والدينية، للزوال والانهيار وأصبح هو الحاكم المتحكم بلا منازع، إلى أن اجتاح الغرب، كمذهب، جميع ميادين الحياة الفكرية والثقافية والحضارية للعصر الحديث، وأصبح بمنزلة حجة وجيهة لجميع سكان الشرق والغرب.

إن «المذهب الإلحادي» (الفردانية)[٤] و«الليبرالية[٥] الثقافية والاجتماعية» و «الديمقراطية»، كانت في جميع الأوجه، مروجا ومناديا للرهبنة الذاتية في جميع الساحات الثقافية والاجتماعية والسياسية لسكان العصر الحديث.

اسمحوا لي القول، أنه طالما لا يلتف الناس حول الحجة الإلهية، ويتجمعوا تحت رايته، ولا يضعوا الإمام المبين في مركزه وموقعه الحقيقي ولا يجعلوه **مبسوط اليد** في ممارسة الولاية والإمامة، فانه لن تتوفر مقدمات تكرير عقيدة الناس وعملهم من الشبهات والانحرافات وإقامة دعائم **الأمة الواحدة.**

الهوامش:

١. نصر الله منشي، «كليلة ودمنة»، باب برزويه الطبيب، القسم الرابع.

٢. إن نهضة الإصلاح الديني أو البروتستانتية، تعد أهم الحركات الاجتماعية في عصر النهضة في أوروبا. إن عجز أرباب الكنيسة عن التعاطي مع قضايا ومتطلبات العصر والساعة والفساد والضياع الذي اجتاح الجهاز الكنسي، أدى إلى تبلور الحركات الإصلاحية والإحتجاجية. ويمكن اعتبار حركة مارتن لوثر في ألمانيا، أحد أهم وأقوى هذه الحركات في القرنين ١٦ و ١٧ للميلاد.

وقد تحدى مارتن لوثر، بشكل مباشر سلطة الكنيسة والقساوسة، وأورد احتجاجات عديدة (٩٥ احتجاجا) على تعاليم وممارسات رجال الدين المسيحيين.

تعني البروتستانتية في اللغة، الاحتجاج ومذهب الاعتراض. وكان يتم في هذه المجموعة من الاحتجاجات الإشارة إلى الاعتراضات وانتقاد التحريفات والثغرات والإنحرافات، ومعارضة القساوسة بشدة.

وتحول مارتن لوثر تدريجيا إلى الترويج لحذف الكنيسة والقساوسة، بوصفهما وسيط التواصل مع اللّه، ومهد من خلال شعار خصوصية الدين وتقييد نطاق التدين في العلاقة بين المرء والله، لانفصال الدين عن السياسة، وساهم من خلال شعار «الرهبنة الذاتية» الذي كان يحفز على النزعة الفردية، في زوال مجمل قدسية الكنيسة والنظام البابوي. ومن هنا، أصبح المذهب الدنيوي شيئا فشيئا، النظام الاجتماعي والثقافي للغرب ما بعد عصر النهضة.

٣. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ١، ص ٢٦١.

٤. Individualism.

٥. Liberalism الحرية بقوانين خاصة= الإباحية.

المصدر: شفيعي سروستاني، اسماعيل، «كرب وبلاء إمام الزمان(عليه السلام) والمرابطة الإيمانية للمنتظرين»، طهران، موعود عصر(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ص ٨٥–٨٨.

برهان الصدق

السفير المبعوث للسفارة لا يعتمد عليه إن لم يكن مستواه العلمي بقدر مستوى الجهة التي يمثّلها، فلو احتجنا لمعلم معهد علمي رفيع المستوى، فأوكلنا هذه المهمّة لرجل ليس بمستوى علم ذلك المعهد ولم يتتلمذ لديهم، بل كان مجرد سامع للألفاظ وحافظ لها ثم نقلها لنا، فهو لا يغني لسد الحاجة، بل لا يعتمد عليه، ولا يكون صادقاً في نقله عن ذلك المعهد. بل يكون إسناد نقولاته لذلك المعهد افتراء يحاسب عليه.

وذلك لأن الصدق ليس فقط بصدق اللهجة، بل إن الخبروية لها دور كبير في ذلك، فقد يكون إنسان صادقاً في أخباره عن شيء بسيط لكنه ليس بصادق في أنبائه عن معلومة خطيرة ودقيقة.

فلا يكون الراوي – بمعنى حفظة الوحي – صادقاً إذا لم يكن علمه بمستوى علم من يروي عنه أو متاخماً له، فإن الصدق يكون بالأمانة والحفظ، وحفظ المعلومة العلمية الدقيقة ليس بوسع شخص عادي جاهل، بل يمكن القول بأنه ليس صادقاً حتى في نقل الألفاظ لعدم حفظه لها بعد الاعتراف بقصور علمه.

ومن هنا إذا ذهب شخص عامي وسمع من جامعة رفيعة المستوى في العلم فرجع ونسب إليها أقوالاً سمعها منهم فلن يُصدَّق، بل يُعدّ مفترياً عليهم حتى لو كان ثقة، إلّا أنه لا يعتمد عليه في نقل ما لا خبرة له في المعلومة. فلو كان بقاء الوحي والذكر والقرآن بحفظ البشر لها لبطلت حجية القرآن والوحي ولما صح إسناد هذه الألفاظ إلى الله تعالى.

تعريف الإمام بأنه مثل العلماء الأبرار هو قضاء على الدين كتفسير النبوة بذلك، فمثلاً لو قيل إن عالماً كبيراً أسّس معهداً علمياً ومركزاً للدراسات والناس محتاجون إليه، لكنه لم يخلف من يرث علمه بتمامه وكماله، فيكون موته موتاً للمعهد العلمي، وذلك أن العلم يموت بموت حامليه كما قال أمير المؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة.

الصحابة ليسوا بذاك المستوى، فهم ليسوا أمناء على الوحي ولا صادقين عنه، وليس ذلك لتعمد الكذب فقط، بل لعدم الإحاطة العلمية وأن ما يعلمون من الوحي لا شيء بالنسبة إلى الآفاق العظيمة من علوم الوحي وبيناته.

والدليل على قصور علم البشر عن مستوى الوحي هو استمرارية المداولة والبحث والتنقيب في علوم الوحي المختلفة كما في ساير العلوم، فهنالك تسالم وارتكاز على وجود مساحات من المعلومات القرآنية والوحيانية لازالت مستورة عن البشر وهم في طورهم لاكتشاف بعض أسرارها يوماً بعد يوم. وهذا إقرار بعدم إحاطة علوم جميع علماء البشر بالوحي وآفاقه الوسيعة، فلو جمع كل ما لدى العلماء من أولهم إلى آخرهم وضم بعضها إلى بعض لن يفي بجميع علوم الوحي، بل لازال الطريق للكشف وإزاحة الستار عن تلك العلوم بحاله، ومن هنا تجد الفاعلية والحيوية والنشاط في العلوم المختلفة سيما علوم الوحي، كما ورد في الحديث وصف القرآن أنه: «**يجري كما يجرى الشمس والقمر**»[١] فكل

يوم له إشراقة جديدة وإطلالة متميزة.

فهذا الإصرار على مداولة العلوم المختلفة ومنه تفسير القرآن الكريم يعني أنه ما زالت توجد حقائق غير مكتشفة للبشر، فالبشرية بأجمعهم ليسوا بمستوى حفظ الوحي لقصور علمهم عن الوحي، فبعد هذا الاعتراف هل يمكن أن يكون البشر بأجمعهم هم الحافظون للوحي؟ أو يقال: إن الوحي المحمدي بقي بفضل العلماء والرواة والصحابة والتابعين فقط؟

أنّى لهم ذلك وهم على ضفاف بحر عميق من علوم الوحي العظيمة ولم يرتووا من ينابيع حكمه إلّا النزر اليسير، فكيف يكون غير المحيط بشيء أميناً عليه وحافظاً له؟

وهذا كله برهان على أن صاحب الوحي شخص آخر وهو الحافظ له، ومن دون هذا الشخص ودون رعايته وهيمنته يكون الدين أمراً بشرياً عادياً لا بمستوى الوحي الإلهي.

الهوامش:

١. المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٣٥، ص ٤٠٤.

المصدر: مقالة «دور الإمام الغائب عليه السلام في بقاء حجج الله تعالى وبيناته وفي هداية البشر»، كاتب: الشيخ حسن الكاشاني.

دعوته عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى الحق

محمّدتقي الموسوي الاصبهاني

في زيارته عليه السلام: «**السلام عليك يا داعي الله، و رباني آياته.**»[١]

و في «الجامعة»: «**السلام على الأئمة الدعاة، و القادة الهداة.**»[٢]

و في حديث **عبد العزيز بن مسلم** المروي في «الكافي» و «الكمال»، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «**الإمام أمين الله في خلقه، و حجته على عباده، و خليفته في بلاده، و الداعي إلى الله، و الذاب عن حرم الله ...**»[٣]

و في «البحار»: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«**إذا أذن الله عز و جل للقائم في الخروج، صعد المنبر، و دعا الناس إلى نفسه، و ناشدهم بالله، و دعاهم إلى حقه، و أن يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، و يعمل فيهم بعمله، فيبعث الله جل جلاله جبرئيل عليه السلام حتى يأتيه، فينزل على الحطيم، ثم يقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام.**»

فيقول جبرئيل عليه السلام: أنا أول من يبايعك، ابسط يدك، فيمسح على يده، و قد وافاه ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا، فيبايعونه، و يقيم بمكة، حتى يتم أصحابه عشرة آلاف أنفس، ثم يسير منها إلى المدينة.»[٤]

و عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل:

«**...ثم ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب الله، و سنة نبيه عليه و آله السلام، و الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام و البراءة من عدوه...**»[٥]

و عنه عليه السلام: «**إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله و إن الإسلام بدأ غريبا، و سيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء.**»[٦]

٢٠٦- و عن **أبي بصير**، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، فقلت: **اشرح لي هذا أصلحك الله.**

فقال عليه السلام: «**يستأنف الداعي منا دعاء جديدا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله.**»[٧]

الهوامش:

١. «الاحتجاج»، ج ٢، ص ٣١٦.
٢. «البحار»، ج ١٠٢، ص ١٢٨.
٣. الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠ ضمن ح ٤؛ «كمال الدين»، ص ٦٧٥، ح ٣١.
٤. «الإرشاد»، ج ٤١١.
٥. «العياشي»، ج ٢، ص ٥٦، ح ٤٩.
٦ و ٧. «غيبة النعماني»، ص ٣٢٠.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام»، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ج ١، ص ١٤٥.

الكه اشميت (فاطمة)

ولدت **فاطمة** عام ١٩٦٥م. في «ألمانيا»، ونشأت في ظلّ عائلة تعتنق المذهب البروتستاني المسيحيّ.

فترة المراهقة

تقول فاطمة:

لم تكن لنا صلة يعتدّ بها بالدين والقضايا المذهبيّة، سوى أنّني كنت في الصغر أذهب مع أمّي إلى الكنيسة، واستمع إلى المواعظ التي يلقيها علينا القسيس. ولكنّني لصغر سنّي كنت لا أفهم ما يقوله القسّيس، وكان معظم ما يلفت انتباهي هو التزيين البديع الذي كانت الكنيسة قد تلبّست به. كنت ذلك الحين لا أعرف أنّ العظمة الظاهريّة للأمور ليست دليلاً على عظمتها الحقيقيّة، فكنت منبهرة بظاهر الكنيسة وجمالها الخارجيّ.

وحينما بلغت الرابعة عشر من عمري كنت افتقر إلى وعي يردعني عن التصرّفات التافهة، ويصونني من الانجراف بالتيّار المدمّر لكرامة الإنسان في مجتمعنا، ذلك التيّار الذي فرض على المرأة أن تهتمّ دائماً بمظهرها وزينتها، وعرض مفاتنها للآخرين.

بداية التوجّه الديني

تضيف فاطمة:

لم أكن أمتلك في فترة المراهقة ذلك الوعي؛ لأنّني كنت أعيش في أوساط أجواء لم تمنحنا الثقافة المطلوبة، ولكن صادف في الإعداديّة أن أقيم صفّاً لتعليم الأمور الدينيّة، وكان الدافع في البدء للحضور في هذا الصف أوّلاً لأنّه كان بمثابة احتفال نجتمع فيه، فيأنس بعضنا مع بعض، وثانياً للجوائز التي كانت تعطى للطلبة في ذلك الصف نتيجة حفظهم لبعض فقرات «الإنجيل».

ولكنّني بمرور الزمان أدركت أهمّيّة هذا الصف، ودوره في إنشاء الوازع والمانع لارتكاب بعض الأمور المتدنّية التي لا تليق بكرامة الإنسان.

ومن ذلك الحين ازدادت صلتي بالدعاء، فكنت أجلس وحيدة في غرفتي، فالتجئ إلى خالقي وبارئي فاناجيه، وأشكو اليه همومي، وكانت تلك اللحظات عندي من أسعد اللحظات.

تقوية البنية العقائديّة

تقول فاطمة:

بمرور الزمان كثر توجّهي إلى الأمور الدينيّة، ولكنّني بدأت أعاني من بعض الشبهات التي كنت لا أجد لها حلاً، وكان دأب أستاذنا الدينيّ أنّه يحذّرنا من الوقوع في الشكّ، فكان يقول: **لا ينبغي الاعتراض والتشكيك في المسائل الدينيّة، ولا بدّ من قبولها تعبّداً وعدم الاستفسار عن حكمتها.**

وسألته ذات يوم: **إنّ الأمور الدينية التي نتلقّاها منكم، يرتكز اهتمامها في الجانب النظري فقط، فهي لا تعطّينا حلاً لكيفيّة التعامل مع الواقع الخارجيّ، وكيفيّة إصلاحه، وإعادة بنائه وفق الرؤية الدينيّة، فمعظم توجيهاتكم تشمل جانب واحد من جوانب النفس الإنسانيّة، وتهمل الجوانب الأخرى، وهذا ما يجعلنا نعاني دوماً من حالة فقدان التوازن نتيجة عدم تمكّننا لإنشاء حالة الوفاق بين الجوانب المتعدّدة لكياننا؛** فنهرني الأستاذ ووبّخني على مقالتي هذه، وحذّرني من العودة إلى ذكرها مرّة أخرى.

وكان يعيش في منطقتنا بعض المهاجرين الإسلاميّين، وكنت التقي بهم في بعض الأحيان، فاستفسرت من الأستاذ في احد الأيّام عن أصحاب باقي الانتماءات الدينيّة. فقال: **جميع الأديان غير المسيحيّة باطلة.**

فقلت له: **وما مصير الذين ينتمون إليها؟** قال: **كلّهم قد حقّت عليهم كلمة العذاب، وشملتهم لعنة الله!**

فتفاجأت من مقولته كثيراً، وقلت له: **اذاً فلا يوجد داعي للبحث عن مبادئ الانتماءات الأخرى، وأخذ الأفكار النافعة منها.**

فقال: **أيّ انتماء تقصدين؟**

– هنالك عائلة إسلاميّة قد تعرّفت عليها، فاحببت أن اطّلع على بعض رؤاهم الفكريّة.

– الإسلام دين مولع بالحرب والعنف والتطرّف، وهو ينظر إلى المرأة نظرة احتقار، ولهذا فهو يسلب حقوق المرأة، ويحاول أن يتعامل معها معاملة السيّد مع عبده.

– ما الضرر في أن يتعرّف الإنسان على مبادئهم؛ ليوسّع بذلك دائرة معلوماته الثقافيّة.

– إنّني أخشى عليك من التسمّم المعرفي!

فقلت في نفسي إنّ هذا التحذير ينافي شعار الحرّيّة الذي ننادي به الليل و النهار، فشبابنا يتوجّهون إلى ارتكاب الرذائل، والأعمال المنحطّة، ولا يردعهم أحد، ولا ينهاهم أحد من هذا التسافل والانهيار، ولكن لما يبلغ الأمر إلى الفكر، ويودّ أحدنا أن يرفع مستواه الفكريّ يقف البعض أمام وجهه فيردعونه عن ذلك مدّعين أنّهم يخشون عليه لئلاّ يقع في الضلال.

من ذلك الحين قرّرت معرفة الدين الإسلاميّ، وكان معظم دافعي في هذا المجال هو الحصول على بعض المعارف لأسدّ بها الثغرات الموجودة في البناء الفكريّ المسيحيّ الذي كنت متمسّكةً به.

فراجعت الكتب والصحف والنشريّات، وتابعت البرامج التلفزيونيّة المرتبطة بهذا المجال، ولكنّني لم أجد فيها سوى التشنيع ضدّ الإسلام، وبقيت على هذا المنوال حتّى بلغت التاسعة عشر من العمر، مرحلة المراهقة والبحث عن الاستقلال والحرّيّة الفرديّة، فازدادت تصرّفاتي الطائشة وأعمالي المتهوّرة ممّا سبّبت لي الكثير من المشاكل مع أبي وأميّ.

واستمرّ بي الأمر على هذا المنوال حتّى سئمت الحياة، وشعرت بتفاهة تصرّفاتي، وعدم اتّزانها، ففكّرت في نفسي قائلة: إلى متى تريدين مواصلة السير في هذا الطريق الوعر المليء بالفتن والمشاكل والاضطرابات، ألم يأن لك أن تتوجّهين إلى إصلاح نفسك وتهذيبها لتعيشين في ظلّ حياة هادئة مليئة بالقيم والأخلاق والنزاهة.

فعزمت الجدّ مرة أخرى، وتوجّهت إلى الأمور الدينيّة، وقرّرت مواصلة أبحاثي الدينيّة التي قمت بها سابقاً.

التعرّف على الإسلام

تضيف فاطمة:

كان في مجال دراستي للدين الإسلامي أنّني قرّرت اتّخاذ منهجاً آخر في هذا المجال،فنشرت إعلاناً في إحدى المجلات النسويّة وأبديت فيه رغبتي للتعرّف على بعض النساء المسلمات، والتحدّث معهنّ حول الإسلام. فاستطعت بهذه الطريقة أن أتّصل بأربعة من الأخوات المسلمات عبر البريد، وبذلك تمكّنت أن أتعرّف على الإسلام بالصورة المطلوبة.

ثمّ قرأت ترجمة «القرآن» فوجدته كتاباً فيه نور وهداية، وكنت كلّما أُكثر من قراءته ازداد خشوعاً وخضوعاً إلى ربّي، حتّى استنارت بصيرتي، وتفتّح عقلي بعد أن تحطّمت في نفسي أغلال الشرك والضلال؛ وتبيّن لي بعد ذلك بأنّ الإسلام يكرّ للمرأة المنزلة الرفيعة، وأنّه لم يأمرها بالحجاب إلاّ ليصونها بذلك من أعين الذين في قلوبهم مرض، والحجاب يضفي على المرأة هالة من الوقار والاتّزان، والإسلام لم يسحق كرامة المرأة باسم الحرّيّة والشعارات البرّاقة ليجعلها سلعة رخيصة بيد الرجال الانتهازيّين.

استبصارها

تقول فاطمة:

فلمّا زالت عن بصيرتي كافّة الحجب الداكنة، أعلنت إسلامي وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّني وجدت عترة الرسول صلى الله عليه وآله أقرب الناس إليه صلى الله عليه وآله، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله روايات كثيرة في حقّهم، فلهذا فضّلت الانتماء إليهم ومن ثم سمّيت نفسي «فاطمة».

ولمّا علمت أنّ الإسلام يحبّ ما قبله، أحسست براحة نفسيّة لا مثيل لها، وشعرت أنّ حملاً ثقيلاً قد أزيل عن عاتقي.

وكانت هذه الراحة النفسيّة هي عوني في مواجهة القوى المعاكسة التي وقفتْ بوجهي؛ لتمنعني من مواصلة الطريق الذي اخترته لنفسي.

ردود الفعل بعد الاستبصار

كانت من جملة تلك المعاناة التي واجهتها سخط أبي عليّ؛ لأنّه تفاجأ لما وصل إليه نبأ إسلامي، وحاول بشتّى السبل أن يصرفني عن ذلك، ولكن خابت كافّة محاولاته، فكان دوماً يصرخ بوجهي ويحاول الاستهزاء بي. ولمّا ارتديت الحجاب الإسلاميّ اشتدّ غضب أبي، وكان يقابلني بالسبّ والشتم، فكنت أتألّم حينما أراه في تلك الحالة؛ لأنّني كنت أحبّه، ولا أرضى أن أراه بتلك الحالة، ولكنّني كنت لا أجد سبيلاً للتخلّي عن مبادئي، كما أنّ الإسلام أمرني بعدم إطاعة الوالدين إذا أرادا إيقاعي في وادي الضلال.

وكنت أحاول إقناع أبي، وتبيين الحقائق له، ولكنّه كان لا يفسح لي المجال، وكان يقول: **إنّ هذا الدين الجديد سيدفعك إلى العزلة والقوقعة والحياة التعيسة؛ لأنّ أبناء بلدك سيبتعدون عنك نتيجة تغيير انتمائك الديني، وحتّى المسلمين فإنّهم سوف لا يعيرون لك اهتماماً، بل يبتعدون عنك؛ لأنّك كنت فيما سبق في انتماء آخر،** ولكنّني كنت أقول له: **إبتاه، إنني أسلمت لله ووجّهت وجهي للذي فطرني فهو الذي يرعاني.**

ولكن كان أبي لا يفهم ما أقول؛ لأنّه كان ينظر إلى الأمور من منظار مادّي بحت، ولكنّني كنت أرى الأمور بنور الله تعالى، وما كان أبي يشعر بالسعادة التي كانت تعتريني نتيجة اتّصالي وقربي بالله عزّ وجلّ، وأملي أن يفتح الله له ولجميع البشريّة التي لم تهتدِ بنور ربّها نافذة ليذوقوا جماليّة هذا النور الربّانيّ.

المصدر: مركز الأبحاث العقائدية: aqaed.com

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

الفروض على الجوارح وإحتجاج بها يوم القيامة: الفروض على الجوارح الأخرى

محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام بإسناده إلى وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده **محمد ابن الحنيفة** أنه قال:

«يا بني... فرض الله على البصر أن لا ينظر به إلى ما حرم الله عليه، فقال عز وجل: «**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...**»[١] فحرم أن ينظر أحد إلى فرج غيره، وفرض على اللسان الاقرار والتعبير عن القلب بما عقد عليه، فقال عز وجل: «**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...**»[٢] الآية، وقال عز وجل: «... **وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً...**»[٣] وفرض على القلب وهو أمير الجوارح الذي به يعقل ويفهم ويصدر عن أمره و رأيه فقال عز وجل: «... **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...**»،[٤] وقال عز وجل حين أخبر عن قوم أعطوا الايمان بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فقال: «... **الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ...**»[٥] وقال عز وجل: «... **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**»[٦] وقال عز وجل «... **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ...**»[٧] وفرض على اليدين أن لا تمدهما إلى ما حرم الله عز وجل عليك، وأن تستعملهما بطاعته، فقال عز وجل: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**»[٨] وقال عز وجل: «**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...**»[٩] وفرض على الرجلين أن تنقلهما في طاعته وأن لا تمشي بهما مشية عاص، فقال عز وجل: «**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**»[١٠] وقال عز وجل: «**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**»[١١] فأخبر الله عنها أنها تشهد على صاحبها يوم القيامة، فهذا ما فرض الله على جوارحك فاتق الله يا بني واستعملها بطاعته ورضوانه، وإياك أن يراك الله تعالى ذكره عند معصيته، أو يفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين، وعليك بقرائة القرآن والعمل بما فيه ولزوم فرائضه وشرايعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنه عهد من الله تبارك وتعالى إلى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه والوصية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.

الهوامش:

١. سورة النور، الآية ٣٠.
٢. سورة البقرة، الآية ١٣٦.
٣. المصدر السابق، الآية ٨٣.
٤. سورة النحل، الآية ١٠٦.
٥. سورة المائدة، الآية ٤١.
٦. سورة الرعد، الآية ٢٨.
٧. سورة البقرة، الآية ٢٨٤.
٨. سورة المائدة، الآية ٦.
٩. سورة محمد، الآية ٤.
١٠. سورة الإسراء، الآيتان ٣٧-٣٨.
١١. سورة يس، الآية ٦٥.

المصدر: «وسائل الشيعة»، الشيخ أبو جعفر الحر العاملي، ج ١١، صص ١٢٩-١٣٠.

دعاء لطلب العافيه

قال الرضا عليه السلام:

«**يا اَللّٰهُ، يا وَلِيَّ الْعافِيَهِ، وَالْمَنّانُ بِالْعافِيَهِ، وَرازِقَ الْعافِيَهِ وَالْمُنْعِمُ بِالْعافِيَهِ، وَالْمُتَفَضِّلُ بِالْعافِيَهِ عَلَيَّ وَعَلى جَميعِ خَلْقِهِ رَحْمنَ الدُّنْيا وَالْآخِرَهِ وَرَحيمَهُما. صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَعَجِّلْ لَنا فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَارْزُقْنَا الْعافِيَهَ، وَدَوامَ الْعافِيَهِ، فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَهِ، يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ.**»

المصدر: نجل مرتضى الموحد الابطحي، محمّدباقر، «الصحيفه الرضوية الجامعة»، تحقيق موسسه الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ص ١٥٧.

حبيب بن مظهّـر

هو **حبيب بن مظهر بن رئاب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، أبو القاسم الأسدي الفقعسي**. كان صحابيا رأى النبي صلى الله عليه وآله، ذكره **ابن الكلبي**،[١] وكان **ابن عم ربيعة بن حوط بن رئاب** المكنى **أبا ثور** الشاعر الفارس.

قال أهل السير: **إن حبيبا نزل «الكوفة»، وصحب عليا عليه السلام في حروبه كلها، وكان من خاصته وحملة علومه.**

وروى **الكشي** عن **فضيل بن الزبير**[٢] قال: مر **ميثم التمار** على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحادثا حتى اختلف عنقا فرسيهما.

ثم قال حبيب: **لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه، فتبقر بطنه على الخشبة.**

فقال ميثم: **وإني لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة.**

ثم افترقا، فقال أهل المجلس: **ما رأينا أكذب من هذين.** قال: فلم يفترق المجلس حتى أقبل **رشيد الهجري** فطلبهما، فقالوا: **افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.**

فقال رشيد: **رحم الله ميثما نسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم.**

ثم أدبر،

فقال القوم: **هذا والله أكذبهم.**

قال: فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثما مصلوبا على باب عمرو بن حريث. وجيء برأس حبيب قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلما قالوا.[٣]

وذكر أهل السير: أن حبيبا كان ممن كاتب الحسين عليه السلام.[٤]

قالوا: ولما ورد **مسلم بن عقيل** إلى الكوفة ونزل دار **المختار** وأخذت الشيعة تختلف[٥] إليه، قام فيهم جماعة من الخطباء تقدمهم **عابس الشاكري**، وثناه حبيب فقام وقال لعابس بعد خطبته: **رحمك الله لقد قضيت ما في نفسك بواجز من القول وأنا والله الذي لا إله إلا هو لعلى مثل ما أنت عليه.**

قالوا: وجعل حبيب ومسلم يأخذان البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة حتى إذا دخل **عبيد الله بن زياد** الكوفة وخذل أهلها عن مسلم وفر أنصاره حبسهما عشائرهما وأخفياهما، فلما ورد الحسين عليه السلام كربلا خرجا إليه مختفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه.

وروى **ابن أبي طالب** أن حبيبا لما وصل إلى الحسين عليه السلام ورأى قلة أنصاره وكثرة محاربيه، قال للحسين عليه السلام: **إن هاهنا حيا من بني أسد فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرتك، لعل الله أن يهديهم ويدفع بهم عنك.**

فأذن له الحسين عليه السلام فسار إليهم حتى وافاهم فجلس في ناديهم ووعظهم، وقال في كلامه: **يا بني أسد، قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فو الله لئن نصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة، وقد خصصتكم بهذه المكرمة، لأنكم قومي وبنو أبي وأقرب الناس مني رحما.**

فقام **عبد الله بن بشير الأسدي** وقال: **شكر الله سعيك يا أبا القاسم، فو الله لجئتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحب فالأحب،**

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

أما أنا فأول من أجاب، وأجاب جماعة بنحو جوابه فنهدوا مع حبيب، وانسل منهم رجل فأخبر ابن سعد، فأرسل الأزرق في خمسمائة فارس فعارضهم ليلا ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلما علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل وتحملوا عن منازلهم. وعاد حبيب إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما كان. فقال عليه السلام: «**وما تَشاؤُنَ إلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ» ولا حول ولا قوة إلا بالله.**»[٦]

وذكر **الطبري**: أن **عمر بن سعد** لما أرسل إلى الحسين عليه السلام **كثير بن عبد الله الشعبي** وعرفه **أبو ثمامة الصائدي** فأعاده أرسل بعده **قرة بن قيس الحنظلي**.[٧]

فلما رآه الحسين عليه السلام مقبلا قال: «**أتعرفون هذا؟**»

فقال له حبيب: **نعم، هذا رجل تميمي من حنظلة وهو ابن أختنا، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.**

قال: «**فجاء حتى سلم على الحسين** عليه السلام **وأبلغه رسالة عمر.**» فأجابه الحسين عليه السلام. قال: ثم قال له حبيب: **ويحك يا قرة أين ترجع، إلى القوم الظالمين؟ انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك.**

فقال له قرة: **أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي.**[٨]

وذكر الطبري أيضا قال: لما نهد القوم إلى قتال الحسين عليه السلام قال له العباس عليه السلام: «**يا أخي أتاك القوم.**»

قال: **اذهب إليهم وقل لهم ما بدا لكم؟**

فركب العباس عليه السلام وتبعه جماعة من أصحابه فيهم حبيب بن مظهر، **وزهير بن القين**، فسألهم العباس عليه السلام فقالوا: **جاء أمر الأمير بالنزول على حكمه أو المنازلة.**، فقال لهم: **لا تعجلوا حتى أخبر أبا عبد الله ثم ألقاكم.**

فذهب إلى الحسين عليه السلام ووقف أصحابه، فقال حبيب لزهير: **كلم القوم إذا شئت.**

فقال له زهير: **أنت بدأت بهذا فكلمهم أنت.**

فقال لهم حبيب: **معاشر القوم إنه والله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون على الله، وقد قتلوا ذرية نبيه، وعترته وأهل بيته، وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيرا.**

فقال له **عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت.**[٩]

وروى **أبو مخنف**: أن الحسين عليه السلام لما وعظ القوم بخطبته التي يقول فيها: «**أما بعد، فانسبوني من أنا وانظروا...**» إلى آخر ما قال. اعترضه **شمر بن ذي الجوشن** فقال: **هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.**

فقال حبيب: **أشهد أنك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنك لا تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.** ثم عاد الحسين عليه السلام إلى خطبته.[١٠]

وذكر الطبري،[١١] وغيره[١٢] أن حبيبا كان على ميسرة الحسين عليه السلام وزهيرا على الميمنة وأنه كان خفيف الإجابة لدعوة المبارز، طلب **سالم** مولى **زياد** و**يسار** مولى **ابنه عبيد الله** مبارزين وكان يسار مستنتل أمام سالم فخف إليه حبيب و**برير** فأجلسهما الحسين عليه السلام. وقام **عبد الله بن عمير الكلبي** فأذن له كما سيأتي.

قالوا: ولما صرع **مسلم بن عوسجة** مشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب، فقال حبيب: **عز علي مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة.**

فقال له مسلم قولا ضعيفا: **بشرك الله بخير.**

فقال حبيب: **لو لا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت له أهل من الدين والقرابة.**

فقال له: **بلى أوصيك بهذا رحمك الله**، وأومأ بيديه إلى الحسين عليه السلام أن تموت دونه، فقال حبيب: **أفعل ورب الكعبة.**[١٣]

قالوا: ولما استأذن الحسين عليه السلام لصلاة الظهر وطلب منهم المهلة لأداء الصلاة قال له **الحصين بن تميم: إنها لا تقبل منك!**

فقال له حبيب: **زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله** صلى الله عليه وآله **وتقبل منك يا حمار!** فحمل الحصين وحمل عليه حبيب، فضرب حبيب وجه فرس الحصين بالسيف فشب به الفرس ووقع عنه فحمله أصحابه واستنقذوه.[١٤]

وجعل حبيب يحمل فيهم ليختطفه منهم وهو يقول:

أقسم لو كنا لكم أعدادا
أو شطركم وليتم أكتادا
يا شر قوم حسبا وآدا

ثم قاتل القوم فأخذ يحمل فيهم ويضرب بسيفه وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مظهر
فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعد عدة وأكثر
ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر
حقا وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقولها حتى قتل من القوم مقتلة عظيمة، فحمل عليه **بديل بن صريم العقفاني** فضربه بسيفه، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه برمحه فوقع، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط، فنزل إليه التميمي فاحتز رأسه.

فقال له الحصين: **إني شريكك في قتله.** فقال الآخر: **والله ما قتله غيري.**

فقال الحصين: **أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يراه الناس ويعلموا أني شركت في قتله**، ثم خذه أنت فامض به إلى عبيد الله بن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه، فأبى عليه فأصلح قومهما فيما بينهما على ذلك، فدفع إليه رأس حبيب فجال به في العسكر قد علقه بعنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه فأخذه فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبصر به ابن حبيب القاسم وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه فارتاب به، فقال: **ما لك يا بني تتبعني؟**

قال: **لا شيء.**

قال: **بلى يا بني فأخبرني.**

قال: **إن هذا رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه؟**

قال: **يا بني لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثوابا حسنا.**

فقال القاسم: **لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب، أم والله لقد قتلته خيرا منك**، وبكى ثم فارقه، ومكث القاسم حتى إذا أدرك لم تكن له همة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان **مصعب بن الزبير** وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد.[١٥]

وروى أبو مخنف: أنه لما قتل حبيب بن مظهر هد ذلك الحسين عليه السلام وقال: «**عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي.**»[١٦]

وفي ذلك أقول:

إن يهد الحسين قتل حبيب
فلقد هد قتله كل ركن
بطل قد لقى جبال الأعادي
من حديد فردها كالعهن
لا يبالي بالجمع حيث توخى
فهو ينصب كانصباب المزن
أخذ الثأر قبل أن يقتلوه
سلفا من منية دون من
قتلوا منه للحسين حبيبا
جامعا في فعاله كل حسن

الهوامش:

١. «جمهرة النسب»، ج ١، ص٢٤١.
٢. عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، راجع «رجال الشيخ»، ج ١٤٣، الرقم ١٥٤٦ و ٢٦٩ الرقم ٣٨٧٥.
٣. «رجال الكشي»، ج ٧٨، الرقم ١٣٣. راجع منتهى المقال في أحوال الرجال ٢، ص ٣٢٨.
٤. «راجع الإرشاد»، ج ٢، ص٣٧، و«الكامل»، ج ٤، ص٢٠.
٥. راجع «الإرشاد»، ج ٢، ص٤١، و«اللهوف»، ج ١٠٨، و«الكامل»، ج ٤، ص ٢٢، و«الأخبار الطوال»، ج ٢٣١. وفي «مقاتل الطالبيين»، ص ١٠٠، نزل مسلم دار هاني بن عروة المرادي.
٦. «تسلية المجالس»، ج ٢، ص ٢٦٠-٢٦١، راجع «البحار»، ج ٤٤، ص ٣٨٦، الباب ٣٧. والآية في سورة الإنسان، الآية ٢٩.
٧. «تاريخ الطبري»، ج ٣، ص ٣١١.
٨. نفس المصدر.
٩. نفس المصدر.
١٠. «تاريخ الطبري»، ج ٣، ص ٣١٩ بتفاوت في النقل، راجع «الإرشاد»، ج ٢، ص ٩٨.
١١. «تاريخ الطبري»، ج ٣، ص ٣١٩.
١٢. راجع «الإرشاد»، ج ٢، ص ٩٥، و«الأخبار الطوال»، ص ٢٥٦.
١٣. «الإرشاد»، ج ٢، ص ١٠٣، «اللهوف»، ص ١٦٢، «الكامل»، ج ٤، ص ٦٨.
١٤. «الكامل»، ج ٤، ص ٧٠.
١٥. نفس المصدر، ص ٧١.
١٦. «تاريخ الطبري»، ج ٣، ص ٣٢٧، راجع «الكامل»، ج ٤، ص ٧١.

المصدر: الشيخ محمد بن طاهر السماوي، «إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام**»، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ.ق.، ص ١٦١ – ١٦٧.**

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

معرفة الإمام

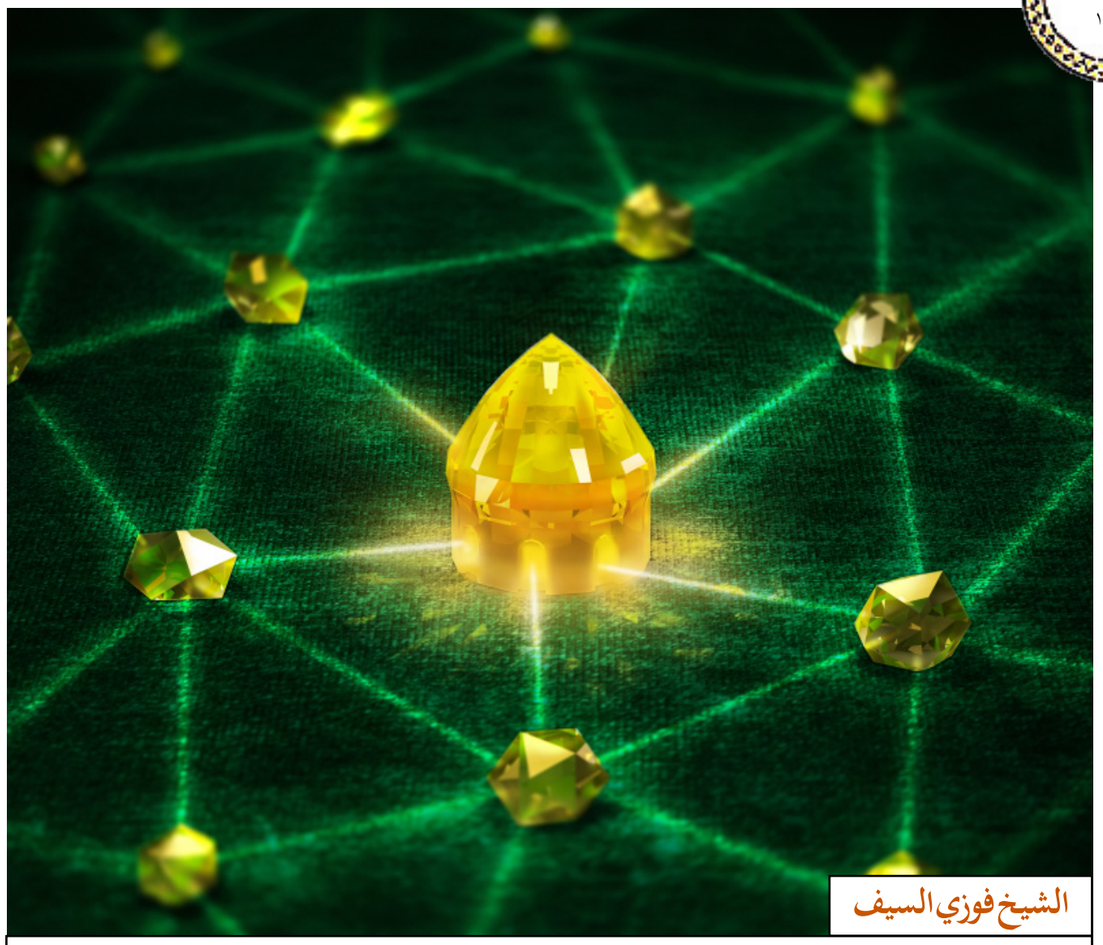

الشيخ فوزي السيف

الامام العسكري عليه السلام وبناء المجتمع الشيعي الموازي

قال سيدنا ومولانا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «**علامات المؤمن خمس؛ صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.**»

صدق سيدنا ومولانا أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، هذا الحديث المروي عن الإمام العسكري عليه السلام تارة يذكر في بيان بعض المستحبات ويستشهد بهذا الحديث على تلك المستحبات مثل: تعفير الجبين الذي هو تعبير عن السجود على الأرض، ومثل البسملة والجهر بها في الصلاة الإخفاتية، ومثل أن يكون الإنسان مصليا للنوافل بالإضافة للفرائض التي هي سبع عشرة ركعة مفروضة وضعفها أي أربع وثلاثين ركعة نافلة مستحبة، استحباب التختم باليمين، وأيضا زيارة الأربعين، وهي على القول الراجح الذي عليه القرائن: الزيارة الحسينية المعهودة، لا زيارة أربعين مؤمن، وقد تحدثنا عن القرائن التي يستفاد منها هذا المعنى في مناسبة الأربعين.

المجتمع الشيعي

قد يكون هذا الحديث يناقش ضمن إطار ذكر بعض المستحبات عند الإمامية وتارة أخرى ينظر إليه من زاوية اجتماعية وهو أن المجتمع الإمامي الشيعي أصبح لا سيما في زمان الإمام العسكري عليه السلام مجتمعا له ميزاته وله اختصاصاته، ولم يعد ذائبا في ذلك المجتمع الكبير المسلم، مع أنه يعيش في داخل هذا المجتمع المسلم إلا أنه له خصائصه مميزة له عن غيره بحيث عندما ينظر الإنسان لهذه الخصائص في أي مجموعة من المجتمعات يتعرف بسرعة إلى أن هذا المجتمع يتبع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذه العلامات التي سماها الإمام عليه السلام الخصائص المميزة، يمكن للإنسان أن يتعرف عليها بسرعة فأنت لا تحتاج مثلا عندما تذهب إلى مجتمع ما، أن تسأل أي شخص هل أنت شيعي أم لا؟ هل أنت على مذهب أهل البيت عليهم السلام أم لا؟ يكفي أن تنظر إلى هذه العلامات والتي هي في الغالب علامات مميزة.

التختم باليمين على سبيل المثال علامة من العلامات، وكذلك الجهر بالبسملة، والسجود على الأرض أو ما يشبهها وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهذه إذن ينظر إليها على أنها علامات اجتماعية تميز وتشخص المجتمع التابع لأهل البيت عليهم السلام، هذا يجرنا إلى موضوع المجتمع الشيعي الذي سماه بعض الباحثين بالمجتمع الموازي أو سماه بعض الباحثين في سيرة الأئمة بالجماعة الصالحة أو غير ذلك من التعابير وحاصل هذه الفكرة أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بنوا لشيعتهم مجتمعا خاصا بهم يعيش في داخل المجتمع الإسلامي ولكنه ليس ذائبا فيه ولا مواجها له، لا هو محارب لذلك المجتمع ولا هو ضد له.

بداية تكون المجتمع الشيعي

بعدما استشهد الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١هـ كان أمام شيعة أهل البيت عليهم السلام أحد ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن يذوب مجتمعهم في المجتمع العام، بمعنى أن يكون فقههم هو الفقه الرسمي العام، وأن تكون عباداتهم على طبق ما يقوم به حكام المسلمين في ذلك الوقت – بني أمية ومن بعدهم بني العباس – عقائدهم وتشريعاتهم تصير جزء من المجتمع العام، وهكذا الحال بالنسبة إلى اقتصادهم وأموالهم وزكواتهم... وكذلك في إدارتهم الداخلية. فيصير حالهم كحال سائر المذاهب الأخرى وسائر العلماء الآخرين؛ ينسجمون انسجاما تاما مع الوضع الموجود في العبادة والعقائد والفكر. وهذا الاتجاه طبعا غير مقبول. لماذا؟

لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام يرون ذلك الفكر فكرا غير صحيح، و يعتقدون بأن ماكان عليه المجتمع العام لا يمثل الصورة الأفضل للدين، فالصورة الأفضل للدين عند آل محمد، فمن غير المعقول إذن أن يأمر الإمام عليه السلام أصحابه أن يتركوا هذا الماء الزلال الصافي ويذهبوا ليأخذوا أفكارهم وعقائدهم وعباداتهم وعاداتهم من أشخاص آخرين اذن هذا الخيار الأول غير معقول.

الاختيار الثاني: أن يواجه شيعة أهل البيت عليهم السلام كل ماكان خطأ في المجتمع المسلم، فعندما يقول خطيب يوم الجمعة فكرة غير صحيحة يقفون في وجهه، مفتي يبين فتوى يخطئونه، قاضي يحكم بقضاء غير عادل يعارضونه، فيتصدون لكل شيء خاطئ في المجتمع المسلم العام، هذا لو كان اختاره أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من بعدهم فمن الممكن أن تتحول حالة الشيعة إلى حالة اصطدام دائم ولا يستطيعون أن يعيشوا حياتهم الاعتيادية. فقط عملهم صراع مع إمام هذا المسجد وذاك القاضي وهذا الحاكم وذاك المتحدث فهذا اختيار غير سليم.

الاختيار الثالث: أن يوجد مجتمع آخر إلى جانب ذلك المجتمع العام، ويكون تحت قيادة أهل البيت عليهم السلام، له فكره الخاص، آراءه الخاصة به،علاقاته الداخلية مع الأئمة عليهم السلام،و له دورته المالية الاقتصادية، وفي نفس الوقت هو في داخل المجتمع العام يتعايش معه، فلا يعاديه ولا يحاربه، يكون فيه ولا يكون معه، ولا يتبعه في آرائه الخاطئة.

نعتقد أن هذا ما صنعه الأئمة عليهم السلام، وكان أعلى مستويات هذا المجتمع في زمان الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قمة هذا النتاج ونهايته كانت علي يد الإمام العسكري عليه السلام، فلما صار هذا المجتمع مجتمع كامل من مختلف الجهات آنذ أصبح من السهل جدا أن يبقى ويستمر إذا غاب قائم آل محمد عجل الله فرجه.

اذن قمة هذا الأمر صار في زمان الإمام العسكري عليه السلام بحيث عندما غاب الإمام الحجة عجل الله فرجه لم يحدث انهيار في هذا المجتمع، فالمجتمع علاقاته منظمة بين قيادته وبين الاتباع، ودورته المالية الاقتصادية – فيما يرتبط بالزكاة والخمس– مرتبة أيضا، ثقافته، أفكاره عباداته كلها كاملة، فلا يحتاج إلى شيء حتى لو غاب الإمام الحجة عجل الله فرجه عن الحضور العلني فلن يحصل انهيار في هذا المجتمع، وهذا معناه أن طريقة الأئمة عليهم السلام في ترتيب ذلك المجتمع الشيعي الموازي في غاية الاتقان.

منهج الأئمة عليهم السلام لحفظ تماسك المجتمع الشيعي

بين أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم خطوط الاسلام الصحيحة التي ورثوها عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله سواء فيما يرتبط بالعقائد، أو ما يرتبط بالتشريعات والفقه. نحن نعلم أن التشيع فيما يرتبط بالعقائد وما يرتبط بالله عز وجل ومعرفته وما يرتبط بصفات النبي صلى الله عليه وآله وعصمته، وما يرتبط بضرورة وجود الأئمة عليهم السلام يختلف في هذه الجوانب عن كثير من المذاهب الأخرى. أما أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد تميزوا بأحكام ونظريات خاصة في العقائد، العبادات –كالصلاة والصيام والحج.. وغير ذلك عن باقي المسلمين. لأنهم عليهم السلام كانوا يأخذون مما ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهم يعملون بأحاديث الأصول من رسول الله صلى الله عليه وآله، بينما كان غيرهم يعملون الرأي، يعملون آراء عقولهم.

في الجانب الفقهي والاقتصادي

إذن أصبح للمجتمع الشيعي منظومة فكرية عقائدية وتشريعية فقهية خاصة – هذا أحد جهات التميز – وكذلك فيما يرتبط بالجانب الاقتصادي أيضا، مثلا موضوع الزكاة؛ يقرر الفقهاء – تبعا لأئمة الهدى عليهم السلام – أن الزكاة الواجبة يجب أن تعطى للفقير من أهل الولاية لأهل البيت عليهم السلام أولا وبالذات، وإذا لم يوجد فينتقل إلى غيره، هذا جزء من دورة المال في داخل هذا المجتمع.

أما موضوع الخمس، خلافا لما يراه بعضهم من أن تشريعه كان متأخرا، نحن نعتقد أنه من الأيام الأولى أي زمان الإمام الباقر والإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

غاية الأمر أن الموضوع كان شديد الحساسية عند السلاطين والخلفاء في قضية المال، فكان يحتاط فيه أئمة أهل البيت عليهم السلام احتياطا كبيرا جدا، فقد كانت التهمة الأساسية التي توجه إلى الأئمة عليهم السلام وأتباعهم من قِبَل جواسيس السلطة الأموية والعباسية؛ أن فلان كان تجتمع عنده الأموال والسلاح، وروى الإمام الصادق عن الباقر عليهما السلام حديث فيه ذكر للخمس أي أن هذا الوضع كان من زمان الإمام الباقر عليه السلام. فيما بعد في زمان الإمام الجواد عليه السلام انفتح الموضوع بشكل واسع وعلني، ووصلت إلينا روايات مفصلة عن الإمام الجواد عليه السلام، فأصل هذا النظام الاقتصادي كان موجودا كما نعتقد من زمان الإمام الباقر عليه السلام بل قبله عليه السلام أيضا.

وإلى هذا يشير بعض الباحثين إلى نقطة ملفتة للنظر فيقولون: لو تتبعنا أحوال أصحاب الإمام الباقر وأصحاب الإمام الصادق عليهما السلام لوجدنا عددا كبيرا من هؤلاء صيرفيين: إسحاق بن عمار الصيرفي، محمد بن عذافر الصيرفي،الحسن بن محمد بن سماعة الصيرفي، مؤمن الطاق الصيرفي، وإذا اطلعنا على كتاب «جامع الرواة» للمولى الأردبيلي رحمه الله نراه يعدد الأشخاص الذين كانوا صيارفة في سوق الكوفة، سنجد عددا كبيرا جدا كانوا من أصحاب الأئمة عليهم السلام، يقول

معرفة الإمام

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

هذه ظاهرة ملفتة للنظر وليست صدفة، بل أمر مقصود ومنظم فمهنتهم كانت تخدم حركة المال السلسة في زمان الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وبعضهم ممن يقوم بهذه الأعمال – كالمعلى بن خنيس – قتل من قبل الدولة العباسية على يد الحاكم على المدينة لماذا؟ لم يذكر السبب، لكن تبين أن هذا الشخص كان أشبه بوزير المالية للإمام الصادق عليه السلام، وزير المالية الذي تجتمع عنده الأموال، من أين الأموال؟ هل ورث الإمام الصادق عليه السلام مال قارون؟!! هذه الأموال كانت من الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة التي يوصلها الشيعة إلى الإمام عليه السلام.

في الجانب الإداري

قام الأئمة عليهم السلام بتنظيم العلاقة بينهم وبين شيعتهم المتفرقين في مختلف الأماكن وتعددها من «المدينة» إلى «مكة» إلى «الكوفة» إلى «البصرة» إلى الري إلى «خراسان» بتطبيق فكرة الوكلاء.

عين الأئمة عليهم السلام وكلاء لهم لإدارة أوضاع الشيعة في تلك الأماكن، وفوضوا إليهم أمورا معينة، ويتحدث الباحثون في زمان الإمام العسكري عليه السلام عن وجود سبعة عشر وكيلا للإمام عليه السلام في مختلف بلدان العالم الإسلامي، وبعضهم كان في مناصب رسمية عند العباسيين لا يعلمون أنه وكيل للإمام عليه السلام ومدير لشئوون شيعته.

هؤلاء الوكلاء كانوا يديرون أمور الشيعة في مختلف الأنحاء، فصار عندنا نظام إداري يدير فيه الإئمة عليهم السلام هذا المجتمع عبر الوكلاء، فيما بعد نفس هذا النظام تطور إلى نظام المرجعية الدينية الذي إلى الآن لا يزال قائما عند شيعة أهل البيت عليهم السلام ويعتبر من أهم نقاط القوة في الوجود الشيعي في العالم الإسلامي.

إذن هيأ الأئمة عليهم السلام لشيعتهم منظومة دينية كاملة في العقائد والتشريعات والفقه، وهو الذي نعتقد أنه الإسلام الحقيقي المفصل الأصيل الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

في النظام القضائي

النظام القضائي الجاري في تلك الأيام زمن بني أمية و بني العباس، إما كان بحسب رأي نفس القاضي وإما – لا سيما في زمن العباسيين – بحسب المذهب الغالب، في بعض الأحيان كان مذهب الحنفي غالبا وأحيانا كان المذهب المالكي، وفيما بعد في زمان **المتوكل** ومن بعده كان الحنبلي هو المذهب الغالب، وكان القضاء به يعم كل المنطقة.

أئمة أهل البيت عليهم السلام يرون أن منهجهم هو المنهج الصحيح الأصيل الذي ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك أوصوا شيعتهم بأن التقاضي إلى من يكون عارفا بالحلال والحرام طبق قضاء أهل البيت عليهم السلام، في الحديث عن الإمام العسكري وهو أيضا مروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور, ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضائنا فاجعلوه بينكم، فإني قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه**» – أي لا يصح أن يذهب مثلا إلى قاضي من القضاة الذين ينطبق عليهم قضاة الباطل. وهذه علامة التدين للإنسان المتقي، ففي بعض الأحيان بعض الناس يذهب إلى قاض على غير مذهبه لأن ذلك القاضي يوفر له المال أو يقضي بالحكم الذي يريده.

مثال: امرأة ليس حق الحضانة ضمن آراء المذهب الامامي، ولكن على رأي مذهب آخر يحق لها الحضانة، فتترك القاضي الذي على مذهبها وتذهب لقاض آخر كي يقضي لها بالحكم الذي تريده، وهذا غير جائز شرعا.

مثال آخر: رجل ليس له حق الميراث مثلا لأنه عم والمتوفي عنده بنت، عند غيرنا بعد أن تعطى البنت نصيبا، يعطى الباقي للأعمام باعتبارهم عصبة الرجل، أما عندنا في المذهب الامامي يكون هذا المال للبنت، قسم منه بالفرض وقسم منه يرد عليها الباقي، ولا يذهب للعم ما دام الولد – ذكرا أو أنثى – موجود، فيذهب هذا الرجل لقاض على غير مذهبه ليأخذ مال ليس من حقه، هذا غير جائز شرعا، وما يأخذه مال حرام، ويكون سحتا ولن ينفعه حتى لو تصدق بجزء منه، لأن المال أصلا ليس له.

التقية في المجتمع العام

هذا المجتمع المتميز كيف يتعامل مع أفراد المجتمع العام حوله؟ هل يعاديه أم يتصادم معه؟ كلا، لأنه أحيانا في نفس البيت الواحد انسان يتبع توجه أهل البيت عليهم السلام, وأخوه أو قريبه يخالف توجهه، هل المطلوب منه التصادم معهم؟ كلا، وإنما المطلوب منا التقية.

التقية نظام انسجام وطريقة تعايش بين أتباع أهل البيت عليهم السلام وبين سائر المسلمين.

إذا أنت تتقبلني كما أنا طريقتي، صلاتي، عبادتي لربي.. لا يوجد محل للتقية، لكن أنت انسان لا تتحمل هذا الأمر مني، لا تقبله، أو تكون في موضع قوة تؤذيني، أو أنك لا تؤذيني ولكن تنفر مني وتجتنبني، يوصي أئمة أهل البيت عليهم السلام بالتعايش مع هؤلاء وأن يسلك سبيل التقية حتى في الأمور العبادية التي أهم شيء.

وفي الحالة الاجتماعية حديث عن الإمام العسكري عليه السلام يعتبر من أصول توجيهاته عليه السلام: «**صلوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة، قال الناس هذا شيعي فيسرني ذلك.**»

وقوله عليه السلام: «..**فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه.**»

هذا من أصول الكلمات التي سوف يعتمد عليها الإمامية كنظام إلى آخر الزمان.

كيف يرتبون أمورهم، كيف ينظرون إلى قيادتهم مع عدم وجود الإمام الظاهر؛ البديل عن ذلك هوقوله: «**صائنا لنفسه...**» هذا بالنسبة للجانب القيادي أما بالنسبة للجانب الاجتماعي فهذا ينطلق من أن «**التقية ديني ودين آبائي**» هذا ليس فقط لي وإنما لكل آبائي هذا الحديث مروي عن الإمام الصادق عليه السلام والذي يشمل هذا الحديث حتى أمير المؤمنين عليه السلام فهو من آبائه ويشمل الحسن والحسين ويشمل زين العابدين عليهم السلام، وهذا من الأصول العامة التي وضعت لحماية هذا المجتمع وهذا المذهب وللتعايش بأفضل صوره مع غيره، حتى يبقى هذا المجتمع يمارس عباداته وقضاياه الخاصة لا هو ذائب في غيره ولا هو متخلي عن المنهج الصحيح، وليس عنده معركة وصدام مع أحد. وعند المواجهة يستخدم التعايش والتقية ولكن فيما بينه وبين ربه يمارس عبادته وقضاياه بشكلها الصحيح والأصيل ولا يتنازل عنها أبدا.

علامات المجتمع الشيعي

كيف نعرف هذا المجتمع؟ هذا المجتمع له علامات ومميزات منها:

١. **التختم باليمين**: أي مكان ترى فيه شخصا متختم باليمين هذه إحدى العلامات على تشيعه، قد لا يكون شيعي حقيقي لكن ضمن المدى الاجتماعي نقدر تعرف هذا لماذا؟ لأن المذاهب الأخرى يقول بعض علمائهم أن الروايات تدل على استحباب التختم باليمين، أساسا التيامن في كل شيء مطلوب، ووردت روايات عن التختم باليمين على وجه الخصوص حتى من غير طرق الإمامية والبعض الآخر من علماء المذاهب أخرى أقروا بوجود روايات تشير إلى قضية التختم باليمين لكن لما اتخذه أهل البدع – كما يزعمون – شعارا لهم، علينا أن نخالف ذلك فنتختم باليسار، فالعلة لأن أهل البدع وهم أتباع أهل البيت عليهم السلام صارهذا الأمر شعارا لهم فلهذا سوف نخالفهم ونتختم في اليسار.

الطريف في الأمر أن الإمام العسكري عليه السلام في زمانه لفترة معينة أمر شيعته أن يتختموا باليسار, «**أمرناكم بالتختم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم،والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم، إلى أن يظهر الله أمرنا وامركم، فإنه اول دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت**»

لقد كان في زمان العسكري عليه السلام وضع خاص من قبل السلطة العباسيين الذين كانوا يرصدون من هم جماعة الإمام؟ من أتباعه؟ من أوليائه؟ فكانت هذه علامة من علائم المؤمن التختم باليمين فيتبين أنه من أتباع أهل البيت عليهم السلام فيؤذونهم ويضيقون عليهم، لذلك قال لهم الإمام عليه السلام انزعوا الخاتم من اليمين واجعلوه في اليسار ولكن في الأحوال العادية الطبيعية يبقى في اليمين وهو أيضا علامة من علامات المجتمع المؤمن.

٢. **الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**: كذلك في قضية البسملة إذا ذهبت إلى مكان واجتماع ما ورأيت المجتمع ملتزم بالجهر بالبسملة، غالبا ما يكون مواليا لأهل البيت عليهم السلام.

في ذلك الوقت في زمان الإمام العسكري عليه السلام وصلت الأمور لأرقى درجاتها وتكاملت الفكرة الشيعية، تكاملت النظرية في العقائد والفقه حسب روايات أهل البيت عليهم السلام التي توارثوها من النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم بدءا من زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى زمان الإمام العسكري عليه السلام الذي استشهد عام ٢٦٠هـ أي حوالي ٢٥٠ سنة من الزمان خلالها كان الإئمة عليهم السلام يبينون الأحكام والتشريعات حسب إرادة الله ويفيضون فيها،فهم حجج الله.

المجتمع الشيعي بدأ يتعود على فكرة الوكلاء ونواب الإمام عليه السلام وأن يرجع إلى أحد العلماء الثقات الورعين العارفين بأمور الدين، هذا بدأ من زمان الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وتكرس هذا الاتجاه في زمان الإمام العسكري عليه السلام، وهناك عدد كبير من الروايات عن الإمام العسكري عليه السلام في كيفية التعامل بين الوكلاء وبين سائر الناس.

فتعود المجتمع الشيعي على هذا النظام لذلك عندما يتوفى أحد النواب يكون انتقال إلى عالم آخر باعتبارهم نواب عامين للأئمة عليهم السلام فكانت العملية سلسة وطبيعية جدا لم تشهد مشكلة.

إلى أن وصل المجتمع إلى زمان الغيبة الصغرى وما بعدها بشكل يعد أمرا طبيعيا، وفي نفس الوقت استمروا بالتعايش مع الناس – غير الشيعة الإمامية – بالتقية والمداراة و بالمعاملة الحسنة.

و قد رأينا تأثير ذلك في المجتمع الشيعي التابع لأهل البيت عليهم السلام، فقد استطاع أن يحافظ على شعائره وأخلاقه وعباداته وأن يحسن معاملته مع غيره، ولم يصطدم مع الآخر.

هذا كله ببركات تخطيط أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان نتيجة ذلك وقمة ذلك في زمان سيدنا ومولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالرغم من أن فترة بقائه محدودة، فعمر الإمام صغير بين من قائل ثلاثين أو ثمانية وعشرين سنة، وإمامته بين من قائل ست أو ثمان سنوات وهذا شيء مثير للدهشة أن الإمام عليه السلام يتولى الإمامة مدة ست سنوات فقط، ومع ذلك الحاكم العباسي الذي بيده الطول والقوة والجنود لا يتحمل بقاءه أكثر من هذا، هذا ملفت للنظر.

عادة إذا كانت هناك فئة تعارض السلطة والحاكم؛ تارة لا يلتفت إليها ولا يهتم لأمرها، وتارة أخرى لا يتحمل وجودها فيواجهها بقوة، فيسعى للقضاء عليها.

يتبين أن هذا الحاكم العباسي، فشل في إدارة الصراع مع الإمام العسكري عليه السلام ولذلك رأى أنه لا سبيل أن يتجاهله، ولا أن يقاوم مخططاته، لا سبيل إلا أن يقتله ويقضي عليه، لأن الإمام عليه السلام كان يدير هذا المجتمع الكبير بذكاء منقطع النظير، وبصورة مثالية كاملة وفي نفس الوقت لا يعطي للسلطة الحاكمة أي مستند أو مدرك، وهذا ما لا يتحمله المعتمد العباسي فسعى للقضاء على الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

المصدر: موقع سماحة الشيخ فوزي السيف http://www.al-saif.net

* الرقم ٨٣
* صفر
١٤٤٣

مقيم الحجّة

بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل أمّ سلمة، إذ هبط عليه ملك له عشرون رأسا في كلّ رأس ألف لسان يسبّح اللّه و يقدّسه بلغة لا تشبه الاخرى، راحته أوسع من سبع سماوات و سبع أرضين فحسب النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه جبرئيل، فقال: «**يا جبرئيل، لم تأتني في مثل هذه الصورة قطّ!**»

قال: **ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثني اللّه إليك لتزوّج النور من النور.**

– «**من ممّن؟**»

– **ابنتك فاطمة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.**

فزوّج النبيّ فاطمة من عليّ بشهادة جبرئيل و ميكائيل و صرصائيل.

فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل مكتوب: «**لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه ،عليّ بن أبي طالب مقيم الحجّة.**»

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يا صرصائيل، منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟**»

قال: **من قبل أن يخلق اللّه الدنيا باثنتي عشر ألف سنة.**»[1]

الهامش:

١. «المناقب»، الخوارزمي، صص ٣٤٠-٣٤١.

المصدر: عبدالرّحيم مبارك، «خيرالبرية والألطاف الإلهية»، دارالعلوم، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ.ق.، ص ٢٥٨.